

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« نقدٌ ومختارات »



أحمد فرح عقيلان

مطبوعات نادي الطائف الأدبي الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله وأصلي على رسوله ، وأهدي هذه الورقات إلى كلِّ عشاق الأدب العربيِّ الأصيل ، والفكر الإسلامي النبيل . وكلُّ هدفي من كتابتها هو أن أوضح أن في أدبنا وبلاغتنا من كنوز الجمال ما يغنيننا عن صغار التقليد الأعمى ، ومنزلة الاستجداء الرخيص .

هذا وقد اشرت فيها من النماذج الطريفة وحملتها بروائع من الأشعار اللطيفة لعلمي أن عشاق الشعر قد برّح بهم الشوق إلى البلاغة الممتعة والفصاحة الخصبية الممرعة بعد أن خاب أملهم في وعود شعراء الحداثة ولم يروا منهم بعد رحلة الانتظار الطويل إلا سراباً يحسبه الظمان ماءً .

منذ مدة طويلة وإخواننا أهل الحداثة يقولون إن شعر الحداثة لا يزال ناشئاً ، وإذا كان الناس لم يتذوقوه بعد ، فذلك لأنه جديد والناس أعداء ما جهلوا وكنا معهم نتطلع أن يتكيف شعر الحداثة بحيث يفهمه الناس ويهضمونه ويعجبون به . ولكن حين يمضي نصف قرن من الزمان ولا يستطيع القراء وعشاق الشعر أن يهضموا شعر الحداثة فإن هذا لا يعني إلا شيئاً واحداً وهو أن الحداثة بوضعها الحالي قد فشلت وأخفقت .

ولعل العيب لم يكن في الحداثة بمقدار ما كان في تطبيقها وذلك لأن أهل الحداثة من اللحظة الأولى عبدوا نماذج الأجنبي وكفروا بروائع التراث وحملهم هذا على أن حطبوا من أدب الأجانب كلَّ ضار واتخذوا من أعلام الأجانب قدوات لا يسألون عما يعملون . وقد كان من نتيجة جهودهم الحداثية أن أنسونا شعرنا الأصيل وتراثنا النبيل وأسلوبنا الأمثل وطلعوا على وسطنا الأدبي بمسميات ما هيمن أدبنا في شيء ومن اللحظة الأولى فرّقوا أدبهم وكانوا شيئاً فهدوا برناسي ذلك إيباجي والثالث رومانسي والأخير رمزي وليزداد الأمر سوءاً جرّعونا الحداثة

دونما تنظيم للجبرعات فلم نهضم حدثهم بعد أن كظّوها بالوثنيات
والشخصيات المشبوهة وإشارات الوثنية والخرافات اليونانية فكان أن حرّمنا تلك
الأنعام الوضيئة الجميلة التي أطربتنا زماناً طويلاً بروائع شعرنا الأصيل النبيل
وعزّفت لنا عبر التاريخ على أوتار القلوب حين كان الشعر يشجينا ويسلينا وكان
يضحكننا ويبكيننا وكان يبعث طاقات الحفاصة فينا وكان يوقد في شيننا وشبابنا جذوة
العزائم وهبّ التضحيات .

والحق أن ساحة الشعر الآن مضحكة مبكية وأن منصّة الشعر الآن يحتلّها دعاة
الحدائثه ويصيحون من على منبرها المقدّس بصخب تحاول أن نتجرعه ولكن لا
نكاد نسيغّه .

وأغرب الغريب في دعاة الحدائثه أنهم أولعوا بشخصيات الأداب الغربيّة غير
مبالين بسوء سيرتهم في مجال الأخلاق والعقيدة والإيمان ، وحاولوا أن يفرضوا
على مجتمعتنا احترام أدباء الغرب وهم يعلمون علماً يقينا مدى الشذوذ والكفر
والإلحاد والعنصرية التي غرق فيها الكثيرون منهم . وإذا لمناهم على ذلك
الاتجاه قالوا نحن لا ننظر إلى أخلاق الأديب ولكننا ننظر إلى تكامل الفنيّة في
إنتاجه . وتناسى إخواننا أن أدب الأديب ما هو إلا لوحة لنفسيته وأن الفنّ مرآة
الفنّان وأنهم إن قدّسوا أعلام الأدب في الغرب فقد أشادوا ضمناً بدرعاتهم ودعوا
شباب أمتنا إليها .


أخيراً أهدي إلى أدباء الأصالة هذه الطاقة الندية من أزاهير أشعارنا مع طاقة
أخرى من زنايق حُبّي وفاعيته . أما أدباء الحدائثه فأهديهم دعاءً منى أن يطهر
أقلامهم وقرائحهم من همزات الشياطين والملحدين .

المؤلف



الرباب للهو

خلفيات حداثية

- 
- ١ - حادثة أم تقليد
 - ٢ - بدر شاكر السياب
 - ٣ - تعدي الحدود
 - ٤ - بين حجازي ودنقل
 - ٥ - نماذج مشبوهة
 - ٦ - تخريب النقد
 - ٧ - حول البنيوية
-
-

حداثة

تقليد

أعترف مرةً أخرى أني كتبت كتابي (جناية الشعر الحُر) وأنا غاضبٌ منفعل يكاد يسطوني الألم والغضب أما أوراقُ هذا الكتاب فأكتبها وأنا في غاية الهدوء . يَبْدُ أن هذا الهدوء لن يمنعني من الصراحة مهما كانت مُرةً . وسأضع لُقراء الأدب وعشاقه النقط على الحروف مهما دفعنا من ثمن الصراحة . ولسوف ننيد المجاملة لأنها تعبيرٌ ملطّف للنفاق الجبان . وإذا كنت قد خسرت صداقات غالية حين ألفت (جناية الشعر الحُر) فما أربَح تلك الخسارة إذا كان جزاؤها عند ربنا شهادة الحق ومقعد الصدق .

الحداثة في مفهوم العقلاء هي الاستفادة من كلِّ جديد مفيد يُجد عند الأمم المتقدمة في الحضارة شَرْقيةً كانت أم غربيةً . وذلك بأن نقتبس الأمة أحسن الحديث ثم نضمُّه إلى تليدها المشرف طامحة إلى الكمال والرقي والأفضل . وهذا أمرٌ يقرُّه كلُّ عاقل ويسعى إليه كلُّ شريف . فما أجمل أن نقتبس من البلاد المتقدمة صناعاتهم الحديثة كصناعة الأسلحة وصناعة الأدوية وصناعة الأغذية . وما أجمل أن نقتبس من مجتمعات الغرب عادات النظام والنظافة ودقة المواعيد والتبكير إلى العمل لأن هذه كلُّها من أوامر ديننا ولأن فيها قوَّةٌ وازدهاراً لمجتمعنا ، وما أحسن أن نقتبس مما ينقصنا من الأمور النافعة في الأدب والاختراع وخدمة المجتمع ووحدة الصف تحت لواء الخدمة الصالحة للإنسانية . ولكنَّ مفهوم الحداثة الآن لم يعد يعني إثراء الصناعة والمجتمع والأدب وإنما هبط مضمون كلمة الحداثة لتتحصّر في حيز الشعر ويصبح معناها : أن يعتمد

الشعراء إلى أدب الغرب فيتخذوه منهجاً وقُدوة ونموذجاً ومدرسة . وفي الوقت نفسه أن يعمدوا إلى شعرنا العربي فيهدموا عموده ويمزقوا موسيقاه ويتجاهلوا عناصره الفنية ومنهجه الأخلاقية وأسرار بلاغته ودلائل إعجازه .

وهذه هي الحداثة التي يتبنّاها الآن معظم دعاة الحداثة وهي التي عقّدت نفوسهم إزاء تراثنا الماجد وأدبنا الخالد فصاروا إذا ذكر شعرنا ولغتنا ونُحونا وبلاغتنا اشمأزت قلوبهم وإذا ذكر أي أدب ماجن أو أديب شرقيّ مشبوه إذا هم يستبشرون .

وإذا قلت إن شعر الحداثة حتى الآن لم يستطع أن يشق طريقه إلى القلوب وأن جماهير القراء والمستمعين لم يتقبلوه فاني لا أسوق الكلام جُزافاً ولا أرجفُ به إرجافاً ولكني أورد بين يدي حكمي هذا نماذج لأقطاب شعراء الحداثة تثبت أن شعر الحداثة في معظمه لا يتمتع الأذواق السليمة ولا الأخلاق المستقيمة . وأنه أساء إلى أدبنا وماضينا الأدبي الفاخر حين أضلّنا عن أدبنا الأصيل ، وعجز عن أن يتحفنا البديل ، فوقعنا عندئذ كالغراب الذي يحاول تقليد القطاة فأضلّ مشيته وعجز عن مشيتها ، لا نحنُ حافظنا على أصالتنا ولا نحنُ تفاعلنا مع تجديدهم . وإلى القارئ هذا النموذج من شعر الحداثة برهاناً على ما نقول :

لقد كان من أعظم شعراء الحداثة الدكتور خليل حاوي كان قوي الموهبة غزير المادّة متين اللغة واسع الاطلاع في الأدب العربي قديمه وحديثه وكان طويل الباع في مجال النقد . وسأغض النظر عن كفره وإلحاده وموته منتحراً على أثر موجة يأس من رحمة الله لأن إنتاجه هو الذي يعنيني أما سلوكه فمرده فيه إلى ربّه الذي لا يظلم مثقال ذرّة . وقد كان لخليل حاوي زميلٌ ونظير يشابهه في مبدئه وسلوكه وسعة اطلاعه اللغوي . كان مثله من الحزب القومي السوري المشبوه شأنه في ذلك شأن جميع الحداثيين الذين التفوا حول مجلة شعر إنّه أدونيس لكن أدونيس هو أفقه شعراء الحداثة في الأدب العربي واللغة العربيّة ولهذا فإني حين أورد النماذج من شعر حاوي وأدونيس فإني أنقض على أثنتين من أعظم رواد الحداثة في الشعر حتى لا يقال إنني أختار النماذج لضعاف الشعراء وأن هذه النماذج لا تمثل شعر الحداثة .

هذه قصيدة من أشهر شعر الحايى جعل عنوانها (مع الفجر)

عاد من عُرْس الفَجْرِ

دفعاً في وجهه

وعلى قمصانه الف نائر

موجة واحدة في دمه

في زوغة الشمس.

وحى المعدن المصهور

في البركان في وهج الثمار

موجة تغزل في المرج فراشات

وتغفو في خوابى الكرم

تغفوا في قوارير النهار

موجة نورها في دمه

عُرْس الفجر



وكنت سأكمل القصيدة لكنني سئمت فاكتفيت بهذا النصف الأول . نعم
لقد سئمت لأنني لا أفهم ولم استطع أن أفهم شيئاً . وإذا كان الدكتور خليل
حايى لم يستطع أن يفهم معلماً للأدب العربي دَرَسه أربعاً وثلاثين سنة فلمن
إذن يكتب الحايى شعره .

وأعود لأتساءل ما موضوع هذا الشعر وهو لا غَزَل ولا وصف ولا حكمة ولا
وطنية وإني أتحدّى أن أعرض هذه القصيدة على عدد من شعراء الحداثة وأجزم
أنهم لن يتفقوا على رأى في فهمها وتفسيرها .

أما النموذج الثاني فقد اقتبسته خاطفاً قصيراً من شعر أدونيس وتعمدت ألا
أطيل النموذج حتى لا أزعج القراء بكلام لا معنى له ولا هدف ولا موضوع .

ثدي النملة
يُفرز حليبه
ويغسل الإسكندر
الفرس جهات أربع
ورغيث واحد
والطريق كالبيضة
لا بداية له .



أليس هذا الشعر استهانة بعقول القراء وبوعي الأمه أنا أجزم أن أدونيس ما
نظم هذا الشعر إلا لاعتقاده أن الوسط الأدبي في أمته تافه هزيل إمعة .
ومن حقي أن أتساءل : إذا كان أساتذة الأدب لا يفهمون شعر الحاوي
وأدونيس فهل يعني هذا أن أدونيس والحاوي صنف متميز فوق مستوى البشر أم
أنه هبط من مروج عبقري أدونيس ليس شيئاً من ذلك لكنه صاحب مذهب
هدام وعقيدة فينيقية مشبوهة وهو إنما يطلع على الناس بمثل هذا الشعر لينفذ
مؤامرة على لغة القرآن وليقضي حاجة في نفسه من حوائج الشيطان ولينفس عن
وتر حشاه في شغاف ضميره معبوده أنطون سعادته .





بدر شاكر السياب

لا أغالي إذا قلت إن الأستاذ بدر شاكر السياب غفر الله له كان أعظم شعراء الحداثة طاقةً شعريةً ، وأنه احتل بين شعراء الحداثة مركزاً لم يتبوأه غيره وأحرز شهرةً لم يحلم بها سواه وحسبك من شهرته في الوسط الأدبي العربي أن أحد الدكاترة وهو الدكتور إحسان عباس نال جائزة الملك فيصل في الأدب تقديراً لبحث كتبه عن بدر شاكر السياب وأن الدكتور عيسى بلاطه نال شهادة الدكتوراه من لندن ببحث كتبه عن بدر شاكر السياب والحق أن بدر كان ذا طاقة شعرية هائلة جعلته أعمق شعراء الحداثة تجربة ذاتية وأفقههم لقواعد اللغة وأصولها ولا غرو فقد جمع بين الموهبة الأصيلة والدراسة العميقة والذكاء العجيب . وكلمة حق أن شعر بدر كان ملتزماً بالموسيقى الأصيلة ولو بتفعيلة منتظمة لا ترى فيها عوجاً ولا خطأ . لقد كان معلماً للغة العربية شأن زميلته التي أحبها الشاعرة لميعة عباس عمارة ومن ثم كان شعر بدر خالياً من أخطاء اللغة وضحالة الفكر .

وقد آثرت أن أتناول أبا غيلان بالنقد حتى لا يقول قائل إنني أحكم على شعر الحداثة من خلال ضعاف الشعراء ولكي اكشف لجمهور قراء الأدب خلفية زعيم عظيم من زعماء الحداثة والخطورة القاتلة التي تكمن في شعره والتي كان لها أثرها في تسميم العقول والتشكيك في العقيدة .

ومعاذ الله أن أتحمّل على بدر بغير مبرر فالتحامل عدو الإنصاف . واعترف للقراء أنني كنت في صغري أجالس الشيوعيين في القدس وأفكر في اعتناق

الشيوعية لأغيط الانجليز وكنت من أشد الناس تقديراً لشعر بدر ورثاء لمأساته حين أنهار أمام المرض العضال منذ عام الف وتسعمائة وستين فأرسلها قصائد باكية تقطع نياط القلوب . كان يخاطب بقصائده النائحة زوجته إقبال فيودع قصائده عصارة روحه وخصوصاً حين يذكر ما يحشاه من يثم غيلان وأختيه وتكل أرملة أمهما . ومن ذا الذي لا يحزن حين يستمع قصائد وداعية ينظمها شاعر ينتظر الموت في أي لحظة ليترك للضياع ثلاثة أيتام وزوجة مخلصة . إن الإنسان أخو الإنسان والبشرية عائلة وبدر بعد هذا وقبله عربي ومسلم إن شاء الله .

لكن بدرًا رغم مأساته كان خطير الشعر لأنه نظم أروع أعماله الأدبية وهو في قمة ولائه للشيوعية ، ولهذا جاء شعره في بعض مواطنه سُمّاً زعافاً يسري في أجساد قرائه . وكان مما يكرهني في بدر أنه كان يظهر إعجاباً شديداً بالشعراء الذين اشتهروا بالشذوذ والدعارة من أمثال بودلير وفيرلين مع أن بودلير لُقّب بالشاعر الرجيم لشدة استغراقه في المفارقات المخزية .

وثمة ناحية أخرى من خطورة شعر بدر وضرره وهي شدة إغراقه في الإشارات الوثنية واستدعاء الشخصيات التراثية الكافرة في شعره . وإنك لو طالعت شعر بدر وأعماله لوجدته من أكثر الشعراء تلميحاً كافراً وثنية . وقد تعقب بعض الشعراء بدرًا في هذا الأمر فادهشهم إيفاله المريب في استدعاء الشخصيات الوثنية مثل عشتار وبعل وسيزيف ونرسيس وميدوزا وكونغاي وأولب وأتيس والعارز وزيوس وأدونيس وسربروس وأوديب وجوكست وأفروديت وهلين وأبولو وأورفيوس وإكار وعوليس وبرشعون وأخيل وأسيرين وكلها شخصيات لا تخرج عن وثن أو بطل خرافة .

وقد تسمع من البعض أن بدرًا قد تاب عن الشيوعية وتحول قومياً ، وتاب مرة أخرى حين رأى الموت في مرضه فنظم دواوينه المتأخرة أمام باب الله (وسفر آيوب) و (المعتد الغريق) وهي دواوين لا تخلو من توجهات إلى الله . والحق أن شعر بدر وهو قومي لا يقل خطورة عن شعره وهو شيوعي لأن القومية العربية بُعثت في العصر الحديث بشكل ممسوخ يفصل العروبة عن الإسلام وحسبك أن

واضعي أسس القومية العربيّة الحديثة معظمهم غير مسلمين وأنهم كانوا يتحاشون ذكر محمد ﷺ وذكر الإسلام حتى لا يكسروا شعور النصارى العرب مع أن العروبة إذا جردت من الإسلام فقدت شرفها وتاريخها ومفاخرها وأصبحت جاهلية ونعراتٍ وادعاءاتٍ جوفاء .

وبدرُ غفر الله له كان يؤمن بالقومية العربيّة بشكلها الممسوخ ومن ثم فقد كان تحوّل بدر من الشيوعية الى القومية تحوُّلاً عن الرّمضاء إلى النار .

أما توبته التي انبعثت من الأم المرض ومن توقع الموت فهي توبة على هيئة صراخ لا يخلو من استنكار وتساؤل وشكوك تسمعها على شكل جوار متفجر في دواوينه التي ذكرتها ولنستمع إلى بدر في بعض قصائد توبته والخطاب في القصيدة موجهة إلى الله جلّ جلاله :

منطرحاً أمام بابك الكبير

أصرخ في الظلام أستجير

يا راعي النّمال في الرّمال

وسامع الحصاة في قرارة الغدير

أصبح كالرعود في مغارة الجبال

كأهة المهجير

أتسمع النداء؟؟؟ يا بوركّت تسمع ؟

هل تجيب إن سمعت ؟!

يا صائد الرجال !!

وساحق النساء !!

يا مفجّع !!!

منطرحاً أمام بابك الكبير

أحسّ بآنكساسة الظنون في الضمير

أثور أغضب

وهل يثور في حاك مذنب ؟!!



ومن الواضح أن القصيدة صحيحة استنكار وليست هتافة استغفار . نعوذ بالله من تقلُّبِ القلوب . إنَّ قصائد الغزل في شعر بدر في نظري أشرف وأسمى من هذه القصيدة وأمثالها . لأن غزل بدر لا يزيغ القلب كما تفعل أمثال هذه القصيدة ولكي نصف شعر بدر الموهوب دَعَوْنَا نستمع إلى لقطتين من شعره أولا هما وصيته لزوجته إقبال . والأخرى حديث عن ابنه غيلان وهما من شعره في أواخر أيامه والحقُّ أنهما من روائع الشعر الإنساني :

إقبال يا زوجتي الحبيبة

لا تعذليني ما المنايا بيدي

ولست لو نجوت بالمخلد

كوني لغيلان رضاً وطيبه

كوني له أباً وأماً وارحمي نحيبه

وعلميه أن يذبل القلب

للفقير واليتيم

وعلميه

أما المقطوعة الثانية فهي قوله يَذْكُرُ يَتَمَّ غِيلَان

أسمعه أبكي يناديني

في ليلي المستوحِد القارس

يدعو

أبي كيف تخليني

وحدي بلا حارس

غيلان لم أهجركَ عن قصد

الداء يا غيلان أقصاني

حقاً أن هذا شعريستحقُّ الخلود ولكم تمنيت أن بدر أسخر طاقته الشعرية

المبدعه في مثل هذه الإيقاعات الإنسانية وفي نشر النزعات الأخلاقية إذن لخدم

بدر دينه وأمه وتمتع بنجاح عجيب وجمهور مستجيب . وذلك لأن بدرًا كان يصدر

في شعره عن طوفان عاطفي جارف في شكواه وفي غزله . كم كان غزل بدر يعجبنا

وخصوصاً وهو يذكر حبايب له معروفة : إحداهن إحدى قريباته (وفيقه) تلك التي أحبها فلم تلبث أن تزوجت ثم توفيت . أما الثانية فحبيبته (هالة) وهي فتاة ريفية رقيقة كانت ترعى غنمها على نهر الخصيب قريباً من بيتهم . وما أجل غزله حين كان يتغزل بهالة فيمزج الجمال بالطبيعة في فَنِيَّةٍ منقطعة النظير . أما الثالثة حبايبه فهي ابنة الجلبي التي نظم فيها مجموعة رائعة سماها (شناشيل ابنة الجلبي) وابنة الجلبي فتاة أرستقراطية كان أبوها ملاكاً كبيراً وكان عمُّ بدر يشرف على أملاك أبيها . وكان لقصرها شناشيل وهي شبابيك من الفسيفساء .

نعم أن الأمانة تقتضي أن أعترف أن شعر بدر كان ممتعاً في موضوعات الغزل والشكوى ولكن حين كان يخوض في القضايا الاجتماعية والسياسية تصرّحاً أو تلميحاً أو رمزاً هنالك تراه منحرف الاتجاه مستهجن العبارة جريئاً على ربه ودينه كما تقرأ في هذا النموذج من قصيدته (مدينة السندباد) من ديوانه (أنشودة المطر) وهي قصيدة تصوّر الفساد الذي استشرى في عهد عبدالكريم قاسم وتلاحظ أن أسلوب القصيدة قد جرف بطوفانه الانفعالي حدود الأدب بين بدر وبين ربه وبين الرسل الكرام .



محمّد اليتيم أحرقوه
فالسماء

يضىء من حريقه

وفارت الدماء من يديه من عيونه
وأحرق الإله في جفونه (أعوذ بالله)

محمّد النبي في حراء قيّده

فسمّر النهار حيث سمّروه

غداً سيُصلب المسيح في العراق

ستأكل الكلاب من دم البراق

مع اعترافنا بالطوفان الهائج في عاطفة الشاعر حول ما كان العراق يقاسيه من مظالم لكنّ هذا الأسلوب خطير لأنه تجاوزَ لحدود الأدب في الحديث عن رسول الله ﷺ وعن عيسى عليه السّلام وعن البراق مركب الأنبياء الكرام .

إن على القارئ أن يحذر مثل هذا الأسلوب لأنه جراءة آثمة وخروج على أساليب الأدب التي تعود أن يأخذ بها الأدباء حين يتحدثون عن الرُّسل الكرام والحقُّ أن كثيرين من دعاة الحداثة وبخاصة المسلمون منهم ترى في تعبيرهم جرأة على الله والإسلام وهي جرأة لا تفسير لها إلا الاستهانة بالدين .

وإذا قبلنا من شعر بدر دواوينه الثلاثة الأخيرة التي نظمها والمرص به فكيف نقبل منه دواوينه الأربعة التي نظمها وهو أشد حماساً للشيوعية من لينين ألا وهي (حفار القبور) ، (المومس العمياء) ، (وأنشودة المطر) ، (والأسلحة والأطفال) .



٣ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لم يكن بدر وحده هو الجريء على مقام ربه ونبوّة رسوله فقد تردى في هذا الاتجاه الكافر كثير ون من دعاة الحداثة ورؤاد التجديد . ولا مبرر أبداً لتلك الجراءة الظالمة ولا علة مفهومة لها سوى أن رؤاد الحداثة الذين نعرفهم كان لهم ماضٍ معروف وحسبك أن تعلم أن معظم رؤاد الحداثة الذين التفوا حول مجلة (شعر) كانوا من الحزب القومي السوري الذي أنشأه أنطون سعادة وجعل شعاره أن سوريا ذات قومية فينيقية لا علاقة لها بالعرب وكان من بين أولئك الرواد يوسف الخال ومحمد الماغوط وأنسي الحاج وتوفيق صايغ وجبرا خليل جبرا وشوقي أبو شقرا و خليل حاوي وشيخهم أدونيس الذي مدح أنطون سعادة بديوان شعر كامل وغير اسمه بناءً على رغبة أنطون سعادة من علي أحمد سعيد إلى أدونيس إله الخصب عند الفينيقيين كما غير دينه من العلوية إلى النصرانية لإرضاء الرجل نفسه . (هذا وسوف أعود إلى هذا الموضوع وأعني انحراف العقيدة عند رؤاد الحداثة) حينما أعرض إلى مذهب نقدي جديد اسمه (البنوية) التي يستغرق فيها في هذه الأيام الأديب السعودي الدكتور عبدالله الغدامي بحسن نية .

وكبرهان على انحراف العقيدة عند الكثيرين من دعاة الحداثة أورد هذا النموذج العجيب لشاعر منهم اسمه عبده بدوي . عنوان القصيدة (آداب نوفمبر) وموضوعها دعوة سافرة إلى الكفر والاستمتاع بحلاوة المعصية وأنوارها (كما يزعم الرجل) القصيدة إشادة بأخلاق الابن الكافر لسيدنا نوح حين ناداه أبوه ﴿ يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ فأبى إلا الكفر حتى حال الموج

بينه وبين أبيه فكان من المغرقين . هذا الكافر العاصي لوالده رسول الله هو البطل
النموذج لعبده بدوي :

لا تصرخ يا ربَّانِ الفُلكِ المقلع (إركب معنا)

لا تخفق من حولي بجناح الرحمة

فوحيداً ثم وحيداً سوف أظلُّ على القمَّة

مهما صعدت في روعي أقدام الطوفان

ما أشهى أن يبدأ إنسان رحلته في هذا العالم

ملتقاً بالعصيان

ومضيئاً بالعصيان

أرأيت أيَّ دعوة مظلمة ظالمة يتبنّاها هذا الشاعر الغريب . إنها دعوة سافرة
إلى عصيان الرُّسل وإشادة بالعصيان وزعمُ فطيع بأن للعصيان أنواراً . نعوذ بالله
من همزات الشياطين . وإغواء المضلّين والمُلهدين .

ولقد كان من أجراً الشعراء على ربنا جلّ جلاله وعلى رسولنا ﷺ شاعرٌ
حدائي يعتبرونه في مصر شيخاً لشعراء الحداثة في مصر إنه صلاح عبد الصبور
ذلك الشاعر الذي رجونا منه خيراً كثيراً حين نشأ في بلده الزقازيق ونظم من
فيض فطرته قصائد مهذبة ملتزمة لكنه ما لبث أن اصطادته الحبائل المردية فتحوّل
عن الأصالة شيئاً فشيئاً حتى تزعم حركة الانفلات الأخلاقي في الشعر . وما أحبُّ
أن أكثر من نماذج عبد الصبور في الجراءة على الله ولكنني أحيل القارئ إلى ديوانه
التعس ليقراً قصيدته (الإله الصغير) ص ٤٧ من المجموعة ليرى أن عبد الصبور
يتجهّم على الذات الإلهية ويعرّض بأسماء الله الحُسنى في سخرية وإذا تحدّث عن
حكمة الله الباهرة القاهرة البالغة استعمل أسلوب الاستهزاء وإذا عرض لموضوع
المرأة وعفافها خرج على اللياقة وغرق في السوقية .

وأخيراً رأينا صلاح عبد الصبور يتقمص شخصية الحجاج كما تقمص
شخصية أدونيس من قبله شخصية مهيار الديلمي الشيعي . وإذا صلاح
عبد الصبور يشيد برجل صوفي خرج عن طوره حين ادعى أنه أفضل من الأنبياء



وقال فيما يروى عنه (قدمي هذه على رقبة كل نبي) فكان أن أدانه مجلس علماء المسلمين وحكم عليه بالإعدام بعد أن سجّلوا عليه من كلامه ما يدينه وحاولوا معه أن يتوب ويستغفر فظلّ مُصراً واستحق الإعدام ضرباً بالسيف .
على أنني ما رأيت أشدّ جرأة في التّهمك على الدين والأنبياء والمثل العليا من أدونيس إنه في هذا الأمر طاغوت . وقد أوردت نبذة في كتابي (جناية الشعر الحرّ) عن ماضيه الخافل بالجريمة وما أريد أن أعيد نهاذج شعره الخارج عن اللياقة وكل التزام ديني أو أخلاقي أو وطني .

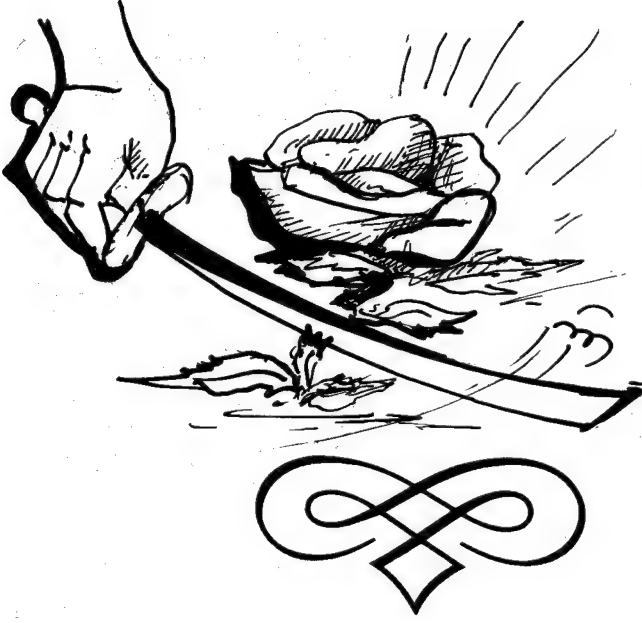
والغريب أن عدداً من شعراء الشباب دَعَوْنِي إلى نادي الرياض الأدبي ليناقشوني في ما ورد في كتاب (جناية الشعر الحرّ) فصرفوا الليلة في محاولة لتوجيه اللوم إليّ لأنّي (أرفض فساد الأخلاق في الشعر والشعراء) وكانت وجهة نظرهم : أن العمل الأدبي عند نقده لا يجوز أن ينظر إلى مضمونه إذا اشتمل على دعوات انحلال أو هدم أو فساد ويكفي أن يدرس على ضوء تكامل عناصر فنيّة معينة فيه . فأبونواس في خمريّاته ومجنونه وتهتكه قد يكون أعظم في مقياس نقدهم من أي شاعر ملتزم بالأخلاق والبناء والدين .

ودهشت جداً أن يتناسى أولئك الشباب أن أمتنا قد ديست كرامتها ومقدّساتها تحت سنابك الكفر الصليبي والحقّد اليهودي وأنا في هذه الحال لسنا في حاجة إلى دعاة الهدم بقدر ما نحن في أمسّ الحاجة إلى دعاة الجهاد والتضحيات والأخلاق لنمسح هزائمنا الأخلاقية بانتفاضة إيمانية تؤدّب بها الغاصبين المجرمين .

على أن هذا لا يعني أن نرفض أدب الأديب إذا كان هذا الأديب سيّء السيرة فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنّى وجدها والله جلّ جلاله ينصر دينه بالبرّ والفاجر فإذا صدرت عن أبي نواس حكمة خالدة وتجربة فاضلة فمرحباً بما يقول . وما زال يعجبني الكثير من وطنيات نزار على الرغم من عدم ارتياحي للكثير من شعره وكم رددت قول نزار إذ يخاطب أعداء الأمة :



لا تسكروا بالنصر
إذا قتلتم خالداً
فسوف يأتي عمرو
وإن سحقتم زهرة
فلن يموت العطر



بين حجازي و دقنل (٤)

أحمد عبد المعطي حجازي من رواد التجديد والحداثة وأمل دُنقل أيضاً من شعراء الحداثة ومن الشباب الذين اصطفاهم لويس عوض ليحرروا في الأهرام . وقد قرأت منذ أسابيع مقالة لأحمد عبد المعطي حجازي عنوانها (رسالة إلى أمل دنقل بعد موته) كان موضوع الرسالة (السخرية عند أمل دنقل) وأحمد عبد المعطي حجازي يجيد التقريب في الدواوين ولهذا توقعت أن أقرأ أروع روائع السخرية في النماذج التي سيختارها حجازي لدُنقل وفعلًا رأيت النموذجين اللذين اختارهما حجازي وهما من أجود شعر دنقل ولهذا رأيت أن أعرض النموذجين على القراء ليعرفوا بالبرهان أيُّ شاعر كان دنقل وأيُّ ناقد هو حجازي .

النموذج الأول الذي أورده حجازي لدنقل :

كان ترام الرَّمْلُ
منبعجاً كامراًة في أخريات الحمل
وكنْتُ في الشارع
أرى شتاء الغضب السَّاطِعَ
يكتسح الأوراق والمعاطفا
وكانت الأحجار في سكونها الناصع
مغسولة بالمطر الذي توقفا



النموذج الثاني

في دَقَّةِ بائعة الألبانِ
تتوقَّفُ في فكِّي
فُرْشاةُ الأسنانِ



حببتي في لحظة الظلام
لحظة التوهج العذبة
تصبح بين ساعدي جثة رطبة
في الشارع
أتلاقى في ضوء الصبح
بظلي الفارع
نتصافح بالأقدام
من يقتل في الشارع أطفال المساكين
لكي لا يصبحوا في الغد شحادين
يستجدون أصحاب الدكاكين
وينسلون في الليل
يبيعون الجعارين
لأفواج الغزاة السائحين

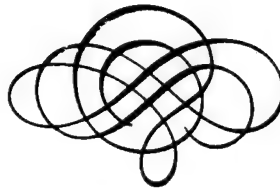
والآن وقد أنتهى النموذجان من شعر محمد أمل دنقل رحمه الله أسأل القراء
ليس هذان النموذجان دليلين على حجم الخسارة الفادحة التي حلت بشعرنا
من أمثال حجازي ودنقل ومن لف لفهما . إن أول نظرة إلى النموذجين تكشف
أنها عينة صادقة للشعر الرديء الساقط في مستواه الشكلي والمضموني .
وعلى ذكر محمد أمل دنقل رحمه الله فقد استغربت حتى بكيت وضحكت ، حين
رأيت بعض الشعراء السعوديين ينشرون في دنقل روائع الرثاء ويرسمون منه
ومن أمثاله نماذج للوطنية يغرون الشباب المسلم في الديار المقدسة باحتذائها وكنت
متاكدا أنهم لا يعرفون الرجل غفر الله له . وهم إنما يرثونه على قاعدة (خالف
تعرف) .

ولكي يعرف أولئك الشعراء في ديارنا المقدسة جريرتهم في رثاء الرجل ووصفه
بالشهيد أذكرهم هذه المعلومات عن أمل دنقل وهي معلومات عارف خبير
ينصف الموتى والأحياء .

وقد يقول قائل (قال رسول الله ﷺ : اذكروا محاسن موتاكم) فأقول صدق رسول الله ولكن حين يُقدِّم أمل دنقل نموذجاً للشباب المسلم لاحتذائه يصبح السمكوت جريمة ويكون كتمان الحقيقة جناية .

لقد كان محمد أمل دنقل غفر الله لنا وله ذا حياة عابثة رخيصة مستهتره نشأ نشأةً عجيبه تقوم على التسكع والصعلكة فكان قلماً يجلس في بيته وقد عرفه كل من خالطه بالانفلات الأخلاقي والفوضى الجنسية ولما تزوج من سيدة كريمة وفيه ظن الناس أنه سيملك نصف دينه ويغير مسيرة أخلاقه لكنه سامحه الله أدخل تلك الزوجة النموذجية في حبال شقوته وظل على فوضاه وصعلكته وكنتيجة لإغراقه في الحرام مما لا أذكره أصيب بأمراض تناسلية ظلت تتطور معه حتى تحولت إلى ما يشبه السرطان في عضوه الحساس فلزم المستشفيات وعولج في الشرق والغرب واهتم به الأستاذ لويس عوض الذي كان وما زال صدرأً حنوناً لكل من يستهين بالإسلام . لكن قضاء الله لا يرد فاجريت لأمل دنقل عملية استئصال فيها عضو الرجولة لكن ذلك لم يوقف سريان الداء فتوفي من جرأ مرضه غفر الله لنا وله ولجميع عصاة المسلمين أهل التوحيد .

أبعد هذا يا أحفاد الفاتحين من أبناء الجزيرة المأجدة المباركة ترثون دُنقلاً وترسمونه لأبناء الديار المقدسة مثلاً ليحتذوا أخلاقه . أين أمانة الحرف التي حملها أهل القرائح والمواهب والأقلام أرانا والله قد مرغناها في أحوال ننته من الضلالات العمياء .





من الأمور المعروفة المشاهدة أنَّ الغربَ الحاقِدَ والشيوعيَّةَ الملحدة أكرمونا إكراماً عجيباً فيما يختص بالأدب فقد فتحوا لنا أبواب أدبهم وأدبائهم على مصاريعها ننهل منها مانشاء ونقتبس من مذاهبها الأدبيَّة والنقدية ما نريد . لكنهم في الوقت نفسه ضنُّوا علينا بعلمهم وعلمائهم وتكنولوجياهم فقَطَّروا في حلولنا منها بالقطارة ونصبوا بيننا وبين علمائهم الحواجز والسُدود لنظلَّ أميين في حقل العلم والصناعة والتكنولوجيا ولنصبح فطاحل في الجدل البيزنطي حول المذاهب المصطرعة في الأدب والشخصيات الملحدة في الأدباء .

وإنك لتسأل عابر السبيل في الأدب عن أدباء الغرب واتجاهاتهم فيجيبك إجابة يستحق عليها مائة في المائة في حين تسأله عن علماء أوروبا واختراعاتهم ومختبراتهم المحصَّنة فتجد معظم علمائنا يجهلون ذلك جهلاً مطبقاً .

لقد أراد الغرب بهذه المؤامرة أن يجعلنا أرباب كلام وجدل لا رجال علم وعمل الا تراه في الوقت نفسه أغرق اليهود في العلم والتكنولوجيا وأغرقتنا نحن في أخلاق أدبائه الذين قيل أن نجا أحدهم من الإلحاد والشذوذ والانحلال .

فكان من الطبيعي أن كرَّس الصهاينة جهودهم للعلم والصناعة وضيَّع العرب جهودهم في الجدل والانقسام والتكسُّر الاجتماعي فلما بلغ القزم اليهودي أشدَّه وتحوَّل عملاقاً وتحوَّل العملاق العربي قزماً أوقدوا بين العرب واليهود نار حرب كانت في الحقيقة معارك بين قنابل الكلام وبين الأسلحة الحديثة المتطورة .

ولكي يتضح لأدباء الحداثة حجم المؤامرة أعرضُ عليهم علماً من أعلام الفكر والأدب الغربي ورَّده الغرب إلينا وأغرانا باحتذاء نمودجه حتى أصبح له في الشرق الإسلامي دعاة يطبلون له وي زمرون إنه جون بول سارتر المفكر الفرنسي صاحب نظرية الوجودية .

(والوجوديةُ مذهبٌ اجتماعي قدرُ مخربٌ يقوم على (الآيهتم الإنسان إلا بها يشبع رغائب وجوده وذاتيته والآيُصغي لأي ناصح يأمره بأن يهذب غرائزه لأن ذلك معناه تدخل في حرّيته المطلقة . ومن هذا المنطلق فإن على الإنسان أن يكفر بكل تقاليد الأخلاق وأوامر الدين والإيمان بالله لأن كل هذه تعتبر تدخلاً في حرية الإنسان) .

وسارتر الذي يحترمه كثير من أدباء الحداثة كان صهيونياً متحمساً للصهيونية حتى لقد قاد مظاهرة تأييد لليهود حينما احتلوا القدس . وبالمناسبة فقد عاش سارتر أعزب مكتفياً بسكرتيرته اليهودية .

هذا السارتر يقول في كتابه (الوجودية مذهب إنسانيّ)

(أن يكون الله موجوداً أولاً يكون ، أمراً لا شأن له عندي . على العكس . الله موجود ولكنّ المهم هو أن أضع وجوده (استغفر الله) بحرّتي الكاملة) شلّ لسانه ولعن بما قال وأستغفر الله لنقل كفره إن هذه العبارة المجرمة تلخص المذهب المجرم الذي ابتدعه سارتر .

وأنا أفهم أن يُثني على سارتر شباب أوروبا حيث يخفت هناك صوت الروح ويعربد صوت المادة لكنّ الذي لا أفهمه هو أن يشيد عربي مسلم بسارتر الذي كان عدواً لدين الله متآمراً على فلسطين .

لقد كان من حصاد الوجودية ومن ثمارها السامة ظواهر اجتماعية مخربة من بينها نوادي العراة وقطعان الخنافس والهيز وأمراض الأيدز والهربز والسفلس كما كان من حصادها فناً مذهب أدبيّة وفنية تخريبية كنظرية الفن والفنّ والسير يالية الغامضة والتجريدية أبعد هذا يركض . أبناء امتنا ذات الرسالة العظيمة وراء أمثال سارتر الملحد الصهيوني المخرب الذي قاومه رجال الفكر الشرفاء في أوروبا

وكتبوا عن نظريته التخريبية : (إن الوجودية دعوة سافرة إلى الكسل واليأس وهي مذهب انعزالي يدعو إلى الإلحاد والكفر بالله والحساب) .

هذه نبذة عن سارتر على أن بلاءنا في بلادنا لم يقتصر على مصيبة واحدة فقد زاد دعاة الحداثة في أوروبا فوضانا الثقافية والاجتماعية حين أغرقونا بعشرات المذاهب الأوروبية المعاصرة في النقد والأدب وعلم الاجتماع حتى صرنا كما قال الشاعر :

تكاثرن الأطباء على خُراشٍ فما يدرى خُراشة ما يصيدُ
وعلى سبيل الثقافة النقدية المعاصرة أعرض بإيجاز إلى بعض المذاهب الأدبية الأوروبية وكلها نظريات كانت ردود فعل للفشل الاجتماعي والعاطفي في أوروبا هنالك :

أ - الكلاسيكية التي تزعم الدعوة إليها راسين وفولتير وتتلخص في احتذاء النماذج القديمة وتذويب شخصية الأديب في شخصية الأديب الذي ارتضاه نموذجاً .

ب - الرومانسية وهي تقوم على الابتداع والتجديد والخيال المجنح ولها خصائص أخرى لا تناسب أدبنا كالهروب من الواقع وكالخيال المغرق والقلق والكتابة والتشاؤم . وقد كان من روادها اللورد بايرون الانجليزى وفكتور هوجو الفرنسي وجوته الألماني وبوشكين الروسى والحق أن هذا المذهب هو أقرب المذاهب الأوروبية إلى نفوسنا ومن الممكن أن نقبس منه بعض محاسنه بعد أن رأينا الومضات الفنية العبقريّة في شعر الرومانسيين الانجليز من أمثال ووردز وورث وشلى وكيثس وكولوردج على أن نتجنب ما في هذا المذهب من سلبيات ضارة .

ج - الرمزية وهي أساس بلائنا لأنها جلبت لنا الغموض والتعمية والرموز المطلّسة وبذلك أفقدت أدبنا أهم خصائصه وهي التألّق والنصاعة والفصاحة والسطوع . وزاد بلاء الرمزية التي وصلتنا عن طريق بعض المخدوعين من لبنان أن روادها الأوروبيين كانوا من أسوأ الأدباء سيرة

وإغراقاً في الانحلال حتى لقد اعترف معظمهم بإدماحه للشذوذ الأخلاقي والجنسي من أمثال بودلير (الشاعر الرقيم) وفيرلين ومالارمييه ورامبو وكلهم فرنسيون ومن أمثال ألن بووارنست هيمنجواي وهما أمريكيان ومن أمثال هنري لورنس الانجليزى وبتلر بتس الايرلندى وركله الألمانى . وهؤلاء الشواذ هم الذين فتنوا بفنهم المسموم رواد حداثتنا من أمثال بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وأدونيس و خليل حاوي ويوسف الخال وصلاح عبد الصبور وغيرهم .

ومن أسوأ ما جرّوه على أدبنا العربى أن حرموا أدبنا من الموضوعات النافعة لأن هذه الموضوعات تتطلب الإشراق والوضوح ولأن المذهب الرمزي يقوم على التعمية والغموض والصخب الموسيقى لذلك لم يستطع أن يخوض الموضوعات الشريفة واقتصر على الموضوعات الجانية والذاتية الأنانية .

د - الواقعية وهى مذهب كان ردّ فعل للشيوعية وقد افتتن به دعاة القومية والشيوعيون العرب ظناً منهم أنه سيمكّنهم من مهاجمة الاستعمار على ضوء الواقع المجرم الذى خلّفه في الأقطار التى ابتليت به . كانوا يظنون أن الواقعية سوف تتيح لهم معالجة الموضوعات السياسية والاجتماعية بروح ثورية لكنّ الذى حصل هو أن القوميين سخروا الواقعية للتطيل وإصاق التهم للذين كانا طابعاً مميزاً للواقعيين العرب من أمثال الجواهري وسليمان العيسى وأحمد السّكاف وعبد الله البردوني وبلند الحيدري وعبد الرحمن الشرقاوي وأحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور .

ثم انهمر علينا وابل المذاهب الأدبية الدخيلة وإذا شعراؤنا في دوامة جرفتهم في خضم لا ساحل له من الاتجاهات المشبوهة ومنها الميتافيزيقية وهى مذهب تعس يقوم على شعوضة تثرثر بها وراء الطبيعة وإن أردت نماذج لها فاقرأ ديوان صلاح عبد الصبور (أقول لكم) وقرأ شعر أدونيس ويوسف الخال .

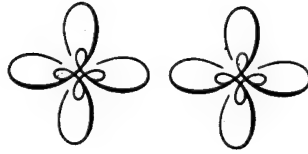
وهناك الاتجاه الفرويدى وهو اتجاه همجى يردّ كل الحياة للجنس ولعلّ نزار

القباني كان زعيمه غير مدافع إلى عام ١٩٦٧م حيث صعد نزار من حمّة الجنس ليرى النور ويلامس هموم قومه قليلاً .

ثم كان أزيّز شرس لم نعد ندرك معه طريق الهداية حين هاجرت إلينا كل أخايث الغرب التومائية والسيرالية والوجودية والليبرالية واليونجية والإيهائية والبرناسية والفن للفن والتجريدية وهلمّ جرّاً .

هذه المذاهب كان لها فعل السحر في إثنان أدبنا لأنها أنست أدباءنا ونحن في وسط الهزيمة ونار الاستعمار والصهيونية أنستهم نماذج الجهاد والفداء والتضحيات وروائع البطولات في سلفنا وتاريخنا وبدلتنا بهم تلك النماذج الداعرة الشاذة من أدباء أوروبا . وأهمّ ما ركّزت عليه تلك المذاهب أن تخفت في العرب صوت الرّجولة وتمحون ذاكرتهم اسم الجهاد في سبيل الله وقد أفلحت في ذلك حتى لقد قرأت نقداً لأدونيس في كتابه (زمن الشعر) ينتقد فيه محمود درويش الشاعر الفلسطيني الماركسي بأن شعره فيه رائحة الجهاد الكريمة في ذوق أدونيس .

وخلاصة القول أن مذاهب الأوروبيين أوقعتنا في غزو فكري أنسانا به أبطالنا الغرّ الميامين وغرر بنا فسبحنا بمدح الفسق والشذوذ متمثلين في معظم أدباء أوروبا وبذلك أضّرّ أهل الحداثة عقولنا بأكثر مما قتل به جنكيز خان أجسادنا وفي الحق أن كثيراً من دعائنا الذين أورثونا أفكاراً هدامة كانوا أخطر من الجيوش المغولية والصليبية .



النقد



النقد أسناذ الأدب يوجّههُ نحو السموّ يهديه طريق الإبداع ويرسم له من مناهج البلاغة ما يرقى به إلى مستوى الآداب العالمية . وهذا النقد تحوّل في أيامنا هذه ببركة لحدائين إلى طلاسّم لا تفهم وما فهمناه منها وحللناه وجدناه كالغراب يدلّ على الرّبع الخراب . وهنا أقول بصراحة وأبوّة لأهل الحدّاة العَرَب : إنّ النقد الأدبيّ سوف يحاسبكم بين يدي الله لأنكم بدلاً من أن تسموا به نحو الأفضل طحتم به إلى الدرك الأسفل فأصبح النقد لدينا من أفتك أسلحة التضليل .

إن الحدّائين مسئولون عن تخريب النقد الأدبي فقد نقلوا إلينا بدون تحفّظ طرائق الأجانب في النقد وكان نقلهم غير مسئول ولا مخلص ولا ذكيّ . إن من يطالع كتاباً في النقد الأدبي الحديث يصيبه إحساسٌ بخيبة أملٍ . حين يرى أنه نقد لا يصلح لطبيعتنا ولا يمكن تطبيقه على أدبنا . ولا أرى تفسيراً لغموض العبارات النقدية في النقد الحديث إلّا أنه يعمّى على السموم التي يدسّها في معين أدبنا .

وإنّي ذاكرٌ هنا بعض العبارات النقدية ليُعذّرنا القراء فيما أسندناه إلى الحدّائين من تهمة . من مقال لشوقي أبوشقرا نشره قديماً في مجلة (شعر) المشبوهة يقول هذا الحدّائي القوميّ السوري : (إنّ الشعر هو فعل اللقط والتوهم . إنه فعلُ العلاقة الخطرة ، إنه الجلسة اللغوية الشعرية المصيبة) ونحن نقول لهذا المصيبة : أن شعرنا كما فهمناه واستمتعنا به عبر التاريخ هو فكر شريف تحيى به

الصدور فينطلق على الألسنة لفظاً شريفاً ساحر العذوية .
وهذه عبارة نقدية أخرى للشاعر القومي السوري أنسي الحاج من مقالتي
نشرهما في مجلة شعر في العددين ٣٠ ، ٣١ :
(الشعر ضد اللغة . ضد الألفاظ . لحساب الحروف . فالشاعر يهدي على
إحدى طرق الدادائيين . يناقق لبياض الصفحة . يتلاعب بإمكانات
الطباعة .) (أعوذ بالله من الشياطين) .

ويقول يوسف الخال الشاعر القومي السوري : (أريد أن أعبت باللغة مدة
عشرين سنة كرد فعل على عبث أسلافنا بلغتنا لمدة ألف عام .) حسبنا الله على
هذا الكنود الذي يتهم أسلافنا العلماء الأدباء الأخيار بأنهم كانوا يعبثون باللغة .
ونحن هنا في الشرق العربي الإسلامي نعاني من هزائم أخلاقية أفيلق بأمتنا
أن تزيد مهازلها ومآسيها بتقليد أعمى لكل طريقة شيطانية . وإذا كان أبو شقرا
والخال وأنسي الحاج قد عرّفوا من نشأتهم بعبادتهم لأنطون سعادة فكيف ينبري
من أمتنا مسلمون ينتمون إلى شرف الإسلام ليصغوا إلى أفكار هؤلاء وينشرونها
بين أبناء أمتهم ليردّوهم ويلبسوا عليهم دينهم وهم في أمس الحاجة إلى الدين
والأخلاق .

لقد كانت أمتنا عبر تاريخها ربما تهزم لكنها تظل قائمة على الحق منتصرة به
وبأخلاقها ثم لا تلبث أن يتجلى وجهها مشرقاً بالنور والأمل وبالأخلاق والدين
وإذا هي كالسيف حين يخرج من نار الصقال . وذلك لأن أخلاق أمتنا القرآنية
كانت أعظم سلاح لها في شدائدّها يزودها بطاقات ربّانية لا تنهض لها أسلحة
الأعداء . ثم لا تلبث أسلحة الكفر أن تتحطم على صخرة الإيمان والأخلاق
والوحدة الإسلامية .

(وبعد) فهذا سؤال كبير أوجهه إلى كل شاعر مسلم وأديب مسلم من أهل
الحدائق : إلى متى يا أيها الإخوة يظل أعداؤنا معبودات لنا ؟؟ وإلى متى نركض
وراء الشخصيات المريية التي أطعناها حقبة من الزمن فجرت علينا عار
الهزيمة ؟؟ ألم يأن للذين آمنوا أن يصفعوا تلك النماذج المتآمره التي يقدمها لنا



المنافقون واليهود والصليبيون فنقبل عليها بنهم ؟ أما أن أن نستبدل بها مقوماتنا
الإيمانية التي جعلتنا خير أمة أخرجت للناس ؟
في هذه الأيام يحاول بعض أنصار الحداثة أن يدخل على نقدنا وأدبنا مذهباً
نقدياً جديداً . كأننا في حاجة إلى مذاهب جديدة تزيدنا حيرة وفوضى هذا
المذهب الأوروبي الجديد اسمه (البُنيوية) وقد رأيت أن أقف عنده وقفة متأنية
لأنه جديد ولكل جديد كذبة . هذا المذهب يتبناه الآن في المملكة شابٌ دعوب
مجتهد له طموحات شريفة بدأت تؤتي ثمارها البالغة إنه الدكتور عبدالله الغدامي
أحد أساتذة النقد بجامعة الملك عبدالعزيز في جدّه وإذا كنت أدلى له بمعلوماتي
حول هذا المذهب فحاشا أن يكون ذلك تطاولاً على معلوماته الغزيرة لكنّه
إضافة على هامش معلوماته في هذا الفنّ وتحذيرٌ في الوقت نفسه من مزلقه .
وما أشك أن اندفاع الغدامي مع البنيوية إنما هو منطلق حماسته ألا يحرم بلاده
من الفكر الجديد . ولكن حين يكون هذا الجديد مشبوهاً فإذا ذاك تصبّح
النصيحة فرضاً لمن أراد ذلك التجديد عن حسن قصد .



السبيل

Structuralism

يقول الدكتور الغدامي في كتابه (الخطيئة والتكفير) في الصفحة ٣١ بعد أن عرض للتداخل في الآراء والنظريات التي تكتنف البنيوية : (لعل هذا التداخل المعقد هو الذي جعل تعريف البنيوية أمراً صعب التحديد حتى بدت البنيوية وكأنها تصور ذهني يستحيل تبيانه . وبالفعل لم يستطع الدكتور الغدامي ولن يستطيع هو ولا غيره أن يقدم تعريفاً موجزاً شاملاً للبنيوية .

ولكن الذي فهمته بمعلوماتي القليلة عن البنيوية : أنها مذهب نقدي أدبي معاصر يعتبر أن أهم ما في العمل الأدبي هو البنية (أي الألفاظ) ويرى أن دراسة العمل الأدبي دراسة نقدية تتطلب تفكيك جزيئات النص أو تشريحها (على رأى الدكتور الغدامي) أو تحطيمها إلى ذرات كي يتمكن الناقد من إدراك (العلاقات) بين ذرات النص وجزيئاته . والحق أن تعريفي هذا لا يخلو من نقص لكنه على أي حال تقريبي للتسهيل .

وقد اكتنفت للبنيوية عدة نظريات ساهمت في تكوينها وكانت روافد لها وهي النظرية الألسنية والمدرسة الشكلية الروسية ونظرية الإشارات (السيمولوجيا) والتشريحية التي أسميها التفكيكية أو التحطيمية ولعلها هي نظرية الإشارات أو مرادفتها .

وقد قام الاستاذ الغدامي بجهد مضني حقاً حين تكلف تطبيق النظرية البنيوية على أدبنا (في شعر حمزة شحاتة رحمه الله) والحق أن ذلك التطبيق جاء متكلفاً ومرهقاً وغير مفهوم .

وقد كان من رواد البنيوية عدد كبير من رجال الفكر الأدبي الروسيين والانجليز

والأمريكان واليهود والحق أن البنيوية مذهب محظوظ لأن كل المذاهب من قبلها كانت تتعرض للصراعات السياسية فما يرضى عنه الروس لا يرضى عنه الغرب إلا البنيوية فإن المستعرض لروادها يرى منهم الماركسيين والغربيين والماسونيين واليهود وهو إجماع رابني حقاً لأن هؤلاء لا يجتمعون على خير . لقد حظيت البنيوية بعدد كبير من الدعاة والرواد منهم رومان جاكوبسن زعيم النقد الألسني ونظرية الاتصال والبنيوية ومنهم ليفي شتراوس وهو الذي ربط البنيوية بالأساطير ومنهم تودوروف وهوروسي ومن زعمائهم الناقد السويسري دى سوسير وهو صاحب مصطلحات عقيمة كالتعاقبية وقطب الدال وقطب المدلول . ومع أن الدال والمدلول هما اللفظ والمعنى لكن التعقيد صناعة . ومنهم بياجيه الفرنسي الذي عرّف البنيوية أنها تتقمص شخصيات ثلاث الشمولية والتحول والتحكم الذاتي ومنهم دو كروت الذي كتب عن الصوتيم ، ومنهم بروب الذي قال إن للصوتيم إحدى وثلاثين وظيفة ، ومن أشهرهم رولان بارت ومنهم دريدا وليفش ولاكان .

وقد رابني في البنيوية هذا الغموض الرهيب في مصطلحاتها فقد أزعجتني تلك المصطلحات بكثرتها وغموضها والغموض لا ينبعث إلا من مواطن الريبة ، وقديماً قال الشاعر :

والستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

ولكي يلمس القارىء كثرة هذه المصطلحات وعقمها وعدم جدواها في النقد الأدبي العربي أورد بعضاً مما يرد على الستهم مما لا يمكن أن يستفيد منه شعرنا العربي لأنه سفسطة .

الشفرة . والعمل المغلق . والعمل المنقح والصوتيم . التعارض الثنائي . الفحص الاستبدالي . العلاقات والإشادات والرموز . اعتبارية الإشارة . المدلول المنزلق . والدال العائم . الاجبار الركني . التوازن الانعكاسي . حالة النحن . كسر النمط . الكتابة الصفر . الأمامية . الحركة الفاعلة . التجاوز . التوازن . هذا كثير من قليل من مصطلحات البنيوية ورصيفاتها الألسنية

والسيمولوجيه والشكلية ونظرية الاتصال وغيرها .

هذا إلى جانب صعوبة الجمل النقدية في هذا المذهب العقيم واكتفي بإيراد عبارات ضئيلة ليعذرنا الناس إذا نحن هاجمنا هذه المذاهب التي لا تعني أدبنا في كثير ولا قليل . وسوف يلاحظ القارئ أن الكلام غير مفهوم ثم أنه لا يفيد شعراءنا .

العبارة الأولى ١ - التحليل البنيوي يتطلب فحصاً دقيقاً لعلاقات التأليف وما فيها من إمكانيات التجاوز وهذا مكسب نقدي استمدته البنيوية من الألسنية أخذاً بمفهوم التعارض الثنائي .

العبارة الثانية ٢ - يحتفظ بارت بمفهوم اعتباطية الإشارة في حين يقسمه سوسير الى اعتباط نسبي واعتباط تام .

العبارة الثالثة ٣ - إن البنية الشاملة للغة هي بنية لا شعورية وهي تشبه إلى حد كبير حالة الحلم حيث يكون الفعل الدال بينها المدلول في حكم التفسير أو شيء طائر . وبذا يحرر لا كان الدال من قيد المدلول ويكون لدينا عندئذ مدلول ينزلق ودال يعوم .

إن أقل ما يمكن أن يقال في هذه العبارات إنها جنائية على النقد وعلى الشعر معاً كما أنها دليل على عدم احترام مؤلفيها لمشاعر الناس وإلا فكيف يكتبون للمثقفين شيئاً لا يفيد ولا يفهم ولا يلزم .

وثمة ملاحظة مهمة لا بد أن أصرح القارئ بها تصريحاً لا تلميحاً وهي : أن النقاد العرب المتصدرين للدراسات البنيوية ما عدا الدكتور الغدامي الذي أعرفه جيداً وأعرف سلامة معتقده وحب لوطنه وأمه . أقول إن البنيويين الذين وصلتني أخبارهم هم جميعاً بين منتم إلى الحزب القومي السوري أو منتم إلى الماركسية وهم متعارفون ويطلب بعضهم لبعض ليأخذونا بالصوت . أسمع عن بنيوي من أعرف الناس بالبنيوية اسمه د . كمال أبو ديب وهو سوري يعمل الآن أستاذاً للنقد في إحدى الجامعات العربية ألف هذا الدكتور كتاباً هائل الحجم

سماه (البيئة الإيقاعية) وهو كتاب في مجموعه أجوف لا فائدة منه لمن يريد أن يحسن مستواه الشعري هذا الكتاب تلقفه أدونيس ليكتب له مقدمة حماسية مجنونة حتى لقد تساءل قائلاً وهو يذكر الكتاب (اليست هذه ثورة كوبرنيكية يعنى بذلك أن كتاب زميله د. كمال أبو ديب فتح من آفاق الحضارة ما فتحه كوبرنيكس في عالم الفلك وكروية الارض وغير ذلك من معلومات) وأدونيس كما هو معلوم هو أعرق أعضاء الحزب القومي السوري الذي يبنى فلسفته على نظرية مجرمة خلاصتها أن سوريا ليست عربية بل فينيقية وينادى بقومية الهلال الخصيب . وعلى ذكر أدونيس قرأنا تحقيقاً معه في مجلة الجيش الجزائري يقول من ضمن أشياء كثيرة (إن سورة مريم هي من أعظم أمثلة القصيدة النثرية . يقول هذا الكلام وقد قرأ يقيناً في القرآن الكريم قوله تعالى عن القرآن ﴿ وما هو بقول شاعر ﴾ .

وفي مصر نشأ أحد البنيويين واسمه الدكتور جابر عصفور رجع من أمريكا ودرس النقد في إحدى جامعات مصر وكان قد عرف بأنه ماركسي فلما غضبت إحدى حكومات مصر على السياسة السوفياتية وطردت الخبراء السوفيت أصبح مركز الرجل في حرج وهو الآن يدرس النقد في إحدى جامعات الوطن العربي . وقد اشتهرت دكتورة معروفة في لبنان وهي من الحزب القومي السوري اسمها خالدة سعيد اشتهرت بأنها من أخصائيات البنيوية ومن المعروف أن الحزب القومي السوري ظلّ خامد الأنفاس محظوراً على تعاقب الحكومات السورية واللبنانية فلما سادت لبنان الفوضى مدت أفعى هذا الحزب رأسها فأيناه يشترى مدافع من عملاء الصهيونية وينصبها على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت ليشفي غليله من المسلمين .

وفي ختام هذا الفصل لا يفوتني أن أشير إلى محاولة الأستاذ الغدامي في إحدى محاضراته أن يطبق النقد البنيوي على أشعار خمسة من الشباب الناشئين منهم ثلاثة شباب وشابتان ، الشباب الثلاثة محمد جبر الحربي ومحمد الشبيقي وعبدالله الصيخان والشابتان هما خديجة العمرى وغيداء المنفى وجميعهم من المنتمين إلى الشعر الحر . وأشهدُ لقد بذل الدكتور الغدامي جهداً هائلاً لا ينكر وذهب في

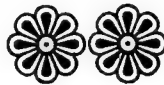
التوضيح بعيداً حتى لقد عَرَضَ خارطةً توضيحية ورغم هذا علمت من أكابر
الحضور وذوى المستويات الرفيعة في الثقافة أنهم لم يستطيعوا فهم المحاضرة وثار
بعد المحاضرة جدل شرّق وغرّب وكاد يصبح غوغائياً لولا أن وقف رئيس النادي
ووعد الجمهور المجتمع أن يخصص لقاءً آخر ووقتاً أطول لإكمال ما بدأه
المحاضر ، ومعدرة لأخينا وصديقنا الدكتور الغدّامي الذي أعرف مستواه الرفيع
في الخلق العلمي وما يتحلى به من أدب المناقشة وعمق التجربة مؤكداً له أن
اختلاف الرأي لا يفسد قضية الحبّ والتقدير .



البَابُ السَّانِي

عِزُّ حُرِّ السُّخِّيَّةِ فِي رُؤْبِنَا

- أولاً • النضوج الموسيقى
- ثانياً • اقترانه بالحكمة والأخلاق
- ثالثاً • المستوى الراقى لألفاظه (روعة الشكل)
- رابعاً • تنوع الأغراض والموضوعات
- خامساً • الصدق العاطفي الذي يولد الصُّور



☆ شخصيّة أدبنا ☆

لكلّ أدب من الأداب العالمية القديمة والحديثة شخصية متميزة يحرص على استقلالها وتميّز طابعها فالأدب اليوناني القديم مثلاً نشأ أسطورياً تسوده الملامح الخيالية وحروب الآلهة والأبطال والأدب الروماني نشأ ذا نزعة خطابية تتجلى في الخطب الرنانة لشعرون وماركوس أنطونيوس وغيرهما ثم جاءت الأداب الحديثة فقلّدت في أول نشأتها أدب الإغريق والرومان ثم لم تلبث أن اتخذ كل منها لنفسه شخصية مستقلة لها مميزاتا وعناصرها .

وإذا تصوّرنا أنّ الشعر العربيّ خيمةٌ عظيمةٌ ذات عمود واحد وأطناب فإن العمود الواحد لخيمة أدبنا هو (الوزن) فإذا انهار الوزن من الشعر انهار كل بناء القصيدة وخرج القول عن دائرة الشعر وطرد من ساحته وأعتبر صاحب الكلام غير الموزون أي شيء من الأدباء إلا شاعراً وإذا ظلّ يدّعي أنه شاعر وهو لا يعرف الوزن فهو عندئذ دعيٌّ في جرّم الشعر وعلى حُرّاس حوزة الأدب أن يخرجوه من ميدان الشعر .

هذا هو ما تعارف عليه علماء الأدب والعارفون بأصوله وشخصيته وهو أنّ الوزن عمود الشعر قد تعارفوا على هذا الأمر المهم وأجمعوا عليه من لدن أول العصر الجاهلي إلى منتصف القرن الحاليّ حين بدأت ربحنا تذهب بتخطيط الاستعمار وبدأت ثقتنا تضعف بأنفسنا وتراثنا . وأصالتنا تتحطم على صخرة الظلم الاستعماري والغزو الفكري . فرفع عندئذ دعاة الحداثة عقائرتهم يصيحون إن الوزن قيد للتجربة وإن البقافية عبء على الفكر وإن التزام عمود الشعر يقف مسيرة الانفعال .

وأخيراً أعلنوا أن العروض لا لزوم له بل أمعنوا في التشكر لأدبنا ولغتنا فأعلن أدونيس أن اللغة نفسها قيدٌ على العاطفة ومن ثمّ فلا بد من التحرر من قيد القواعد واللجوء إلى العامية وإهمال النحو وبذلك تكشفت دعوتهم عن مخطط يعصف بلغة القرآن وتراث الإسلام ووحدة العرب وهنا أحبُّ أن أسرد في إيجاز

عناصر الشخصية في الشعر العربي مؤيداً كل عنصر بنماذج ممتعة لكي يظل أهل الغيرة من الشعراء على صلة بهذه العناصر وحرص عليها فيقطّعوها بهذا حبال المتر بصين .



أولاً : النضج الموسيقي

يعترف المطلعون على الآداب ودارسو الأدب المقارن أن أنضج موسيقى يتمتع بها شعر عالمي هي موسيقى الشعر العربي . وهي موسيقى تقوم على الوزن الذي تحدده التفعيلات كما تقوم على القوافي ذات الإيقاع المطرب وأخيراً تعتمد على الأنغام الخفية الناجمة عن عبقرية الشاعر في بناء الألفاظ وتنسيقها ورصفها . وإذا كان الوزن والقافية يشنفان الأسماع فإن الموسيقى الخفية تشنّف القلوب لأنها تصدر عادة عن ذوي المواهب الأصيلة في الشعر . والحق أن القوافي أيضاً خدمت شعرنا لأنها سهّلت حفظه وانتشاره وتمثّل به في المجالس .

ومن أجل النضوج الإيقاعي والموسيقى في شعرنا صلح منذ القديم للغناء فكان سلوة الظاعنين في سكّون الصحارى . بل لقد كان الشعراء يختمون أبياتهم بتنوين يقال له تنوين الترنّم وهم يُنشّدون شعرهم غناءً بين أيدي الخلفاء كقول جرير في مطلع إحدى نقائضه :

أقلّى اللوم عاذلَ والعتابا
وقولي إن أصبت لقد أصاباً

وكان من الشعر العربي أراجيزٌ وحداياتٌ يحدون بها الإبل لينسوها بالموسيقى وعشاء السفر . ولالإبل حاسة موسيقية دقيقة فإذا طرب الجمل حنّ إلى ربوعه حيث في انتظاره العيسُ الجميلات ومن أقدم ما حفظ من حُدااء الجاهلية :

دع المطايا تنسم الجنوبا

إن لها لبناءً عجيباً

حينها وما اشتكت لغوبا

يشهد أن قد فارقت حبيبا

ما حملت إلا فتى كئيبا
لو ترك الشوق لها قلوبا
إذن لأثرنا بهن النيبا
إن الغريب يسعد الغريبا

وهذه الخاصة الموسيقية الغنائية الناضجة تنوعت أوزان شعرنا حتى بلغت العشرات وكان منها الأوزان الطويلة كالطويل البسيط وهي تصلح للإيقاع الهاديء وكان منها الأوزان المتوسطة كالوافر والكامل التي تصلح للإيقاعات الحماسية الصاخبة . وكان منها الأوزان القصيرة التي تصلح للأناشيد والدعابات . ومن المعروف أن الشعر الإسباني نقل عن شعرنا القوافي وأن الشعر الانجليزي لا يتمتع بعشر معشار موسيقانا لأنه ليس له إلا وزنان رئيسيان وكان المفروض أن يقتبس الأجانب من شعرنا روعة موسيقاه لا أن ننقل نحن عن الأجانب بدائية موسيقاهم .



• ثانياً : •



اقترانه بالحكمة والادب

من أهم عناصر الشعر العربي أنه نشأ أدباً ، ومضى عبر القرون أدباً ، ومن أجل ذلك كان العرب يتسابقون إلى حفظ الشعر ودرأيته ، ويؤدّبون أبناءهم بحفظه وروايته . وكانوا يرددونه أثناء المعارك والمواقف الحاسمة . وقد اعترف معاوية رضي الله عنه أنه همّ بالفرار يوم صفين فلما ردّد أبياتاً لعمر بن الأتظابة الخزرجي ثبت في الساحة وطرّد شبح الفرار وهذ الأبيات التي منها البيت الشهير

وقولي كلّما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي

ولعلّ من أكره أنواع الشعر وأغراضه شعر المدح ولكنّ الشعراء الأصلاء كانوا يحملونه بالحكمة فتقبل عليه الأذواق بشغف عظيم وذلك لأن الحكمة حين تنطلق من الإحساس المنفعل والعواطف الصادقة تزول عنها الوعظيّة المباشرة والتعليميّة

الجافه ، وتلبس ثوباً جميلاً من نبل الشاعر ولطف المأخذ . وهذان نموذجان كلاهما من شعر المدح قِيلاً قبل ألفٍ وأربعمائه وخمسين عاماً ومع ذلك رسماً لأهل الطموح الشريف طريق الفضائل طول هذه الأحقاب .

يقول زهير :

وفيهـم مقاماتُ حسانُ وجوهـها
وأنديةٌ يتتابها القولُ والفعلُ
وإن جثتهم ألفتِ حولَ بيوتهم
مجالسَ قد يشفى بأحلامها الجهلُ
على مكثهم رزقٌ من يعترهم
وعند المقلين السماحةُ والبذلُ
فما كان من خير أتوه فإتـها
وهل يُنبِتُ الحظيُّ إلا وشيخه
وتُغرسُ إلا في منابتها النخلُ
وأما نموذج الحطيئة فهو أيضاً في المدح وفيه يقول :
أقلُّوا عليهم لا أبـا لأبيكم
من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سُدُّوا
أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى
وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شَدُّوا
وإن كانت النُعمى عليهم جزوا بها
وإن أنعموا لا كدروها ولا كدُّوا
مطاعينُ في الهيجا مكاشيفٌ للدجى
بنى لهم أبـاؤهم وبنى الجدُّ
بل إن الحطيئة كان وهو يهجو يشردرر الحكم في نظم هجائه ولنستمع إليه وهو

يقول في الهجاء :

لما بدا لي منكم غَيْبٌ (١) أنفسكم

ولم أجد لجراحي منكم آسي

أزعمت يأساً مُبيناً من نوالكم

ولن ترى طارداً للحر كالياس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

فانظر إلى الحكمة الرائعة في الشطر الثاني من البيت الثاني وإلى الرائعة

الأخرى في البيت الأخير لترى كيف كان شعرنا يتدفق بالحكمة حتى في المدح والهجاء .

ولا شك أن فرسان حلبة الحكمة في شعرنا هم أبو الطيب وأبو تمام وأبو العلاء

وشوقي ويكفي أن نورد لكل واحد منهم نموذجاً قصيراً كعينة من منجمه النفيس .

يقول أبو الطيب :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدواً له ما من صداقته بدُّ

وأغرق خلق الله في الذل أمة

تضام ومنها للذي ضامها جند

ويقول أبو تمام في الصديق المهذب :

من لي بإنسان إذا أغضبته

وجهلت كان الحلم رد جوابه

(١) يقرؤها البعض عيبٌ وما أوردنا أبلغ ومعناه ما تخفونه من أخلاق نفوسكم .

وتراه يُصفي للحديثِ بِسمعه

وبقلِّبه ولعلَّه أدرى به

ومن حكم أبي العلاء :

ولما رأيتُ الجهل في الناسِ فاشياً

تجاهلتُ حتَّى ظُنَّ أني جاهلُ

فوا حزناً كم يدعى الفضل ناقصُ

ووا أسفاً كم يُظهر النقص فاضلُ

ومن حكم شوقي رحمه الله :

ولا بيني الممالك كالضحايا

ولا يُدني الحقوق ولا يُحقِّقُ

وللأوطان في دم كل حرٍّ

يدٌ سلفت ودين مستحق

وللحرية الحمراء بابٌ

بكل يدٍ مضرَّجة يدقُّ

ولعلك لو تلمَّست شعر الحكمة والأدب في الشعر العربي لوجدت أن أكثر من نصف الشعر العربي ينتمي إلى هذا الباب وقد نظمت قصائد كاملة من شعرنا في الأدب والحكمة كقصيدة عمر بن الوردی وشعر صالح بن عبد القدوس ونونية أبي الفتح البستي وكثير من قصائد البرعي اليماني . بل إن دواوين بأسرها لم تخرج عن موضوع الأدب والحكمة كالديوان المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكديوان الشافعي رحمه الله وكديوان اللزوميات لأبي العلاء المعري . على أن مقاييس أدبنا لا تستسيغ أن تكون القصيدة كلها أدباً وحكمة لأن ذلك يخرجها إلى الوعظية التعليمية وترى أن تنثر الحكمة في أثناء القصائد مرتبطة بعاطفة الشاعر كما يلاحظ القارئ في دواوين أبي الطيب وأبي تمام والشريف الرضي وشوقي وعلي بن الجهم والقباني وأشجع السلمي وغيرهم . هذا وفي شعرنا العربي موضوع كبير وغرض شعري نبيل ألا وهو الشعر

الإسلامى وهو شعر كلُّه أدب وحكمة لأنه يدور حول مقاصد الإسلام العظيمة
ومناهجه المستقيمة وتلك كلُّها آداب وأخلاق وحين يخوض الشعر الإسلامى
سير الصحابة الكرام وبحار السيرة النبوية الشريفة تراه يعقب بشذا الحكمة لأن
الرسول الكريم ﷺ كان قدوة الدنيا في الفضائل والمثل العليا . ولا غرو فهو
صاحب الخلق العظيم الذي أعلن أنه إنما بُعث ليتمم مكارم الأخلاق . ولم أشأ
أن أضرب أمثلة كثيرة من شعر الحكمة والمثل والأدب في شعرنا لأن هذا الموضوع
بحر لا ساحل له ، وبحسبنا تلك النماذج العابرة التى أوردناها آنفاً .



قالت: المستوى الراقى للشكل (الألفاظ)

كانت لغة الشعر عبر العصور أرقى في مجموعها من لغة الشر الفني . أجود اختياراً ونظماً وأجمل انتقاء وتنسيقاً وأكثر التزاماً بالفصاحة والإشراق . وهذا ما جعل للشعر شعبية وجعله مستودعاً عظيماً لشواهد اللغة وأصولها وقواعدها وجعل شعرنا الأصيل حافظاً للغة على عكس شعر الحداثة الذى ينقص لغتنا من أطرافها كل حين لأنه يستهين بالقواعد ولا يعبأ بالتراث ولا يبالي بالأغلاط . بل إن من شعراء الحداثة من يجاهر بأن انتقاء الألفاظ والتزام فصاحتها وصحتها لا يليق بشاعر الحداثة لأن في هذا قيداً يُقيد تجاربه ومعاناته . ولهذا فإذا أردت أن تثبت شاعريتك عند هؤلاء القوم فأكثر من أخطاء اللغة لتثبت لأهل الحداثة أن صدق تجربتك قد صعق صحة الفاذك . إن من يوازن بين ألفاظ الشعر وألفاظ الشر في أدبنا يلاحظ أن ثمة بوناً شاسعاً فالشاعر بعد أن ينظم القصيدة يقوم بعملية نقد ذاتي لها ويحرص أشد الحرص ألا يتغاضى عن لفظة واحدة تنقصها الرصانة والجزالة وملاءمة الموضع . كان زهير بن أبي سلمى ينظم القصيدة ثم ينقحها ويعرضها على النقاد ثم لا يذيعها إلا بعد حول فلُقبت قصائده بذلك الحوليّات . وإنك لتقرأ شعر المبدعين من الشعراء فلا تستطيع أن تستبدل لفظة بلفظة ولعلك لو قرأت هذا النموذج من شعر البحرى تدرك ما أعنيه بالمستوى الراقى لألفاظ الشعر .

تمشي فتحكم في القلوب بدّها

وتميس في ظلّ الشباب وتخطر

وتميل من لبن الصبا فيقيمها

قد يؤنث تارةً ويُذكر

إنني وإن أظهرتُ بعضَ بطالتي

وتوهم الواشون أني مُقَصِّرُ

ليشوقي سحر العيون المجتلى

وهزني وردُ الخدود الأحمر

إنَّ من يقرأ هذه الأبيات يدرك لماذا قال النقاد في شعر البحتری (أراد البحتری أن يشعرَ فغنى) .

وأما النموذج الثاني للشعر الذي تسحرك الفاظه فهو من نظم شرف الدين الأنصاري وكان شيخ شيوخ حماة . توفي بعد سقوط بغداد بست سنين .

رفقا بروحي فهي لك

العبدُ منك وما ملكُ

من فرَّ من ذلِّ السُّؤال

فعرَّني أن أسألكُ

إن تحم عيني أن تراكُ

جعلتُ قلبي منزلكُ

إنني أغارُ إذا الأراكُ

دنا إليك وقبلكُ

ويرو عنِّي مرَّ النسيم

إذا ثناكَ وميلُكَ

ما أقبح الصبر الجميل

بعاشقيكَ وأجملُكَ

وأما النموذج الثالث فهو من شعر صفي الدين الحلي زعيم شعراء عصر الماليك . والنموذج موسيقاه ظاهرية يشارك فيها البديع . والقصيدة طويلة جميع ألفاظها من قاموس الألفاظ الجميلة .

ورد الريعُ فمرحباً بوروده

وبُور بهجته ونور وروده

وَبِحُسْنِ مَنْظَرِهِ وَطَيْبِ نَسِيمِهِ

وَأَنِيْقِ مَلْبَسِهِ وَوَشْيِ بُرُودِهِ

فَصَلْ إِذَا افْتَحَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ

إِنْسَانٌ مَقْلَتُهُ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ

يَا جَبْدًا أَزْهَارُهُ وَثِمَارُهُ

وَنَبَاتٌ نَاجِحُهُ وَحَبُّ حَصِيدِهِ

ولكي يدرك القارئ مدى الخسارة التي حاقت بشعرنا العربي حين ترك شعراء الحداثة انتقاء الألفاظ وفصاحتها أوردُ هذا النموذج من شعر الحداثة ، وهو لزعيم ورائد من أشهر زعماء الشعر الحر ورواده . ومع أننا نصّبناه بين ظهرايننا زعيماً ورائداً فقد كان في فكره عبداً لشاعر انجليزي أمريكي كاثوليكي اسمه تى . إس . إليوت . ويسميه النقاد العرب عملاق الحداثة حتى ما منهم إلا مدحه وتأثر به مع أنه كان من أشد الناس احتقاراً للعرب وأدهم ولا غرو فقد كان له أستاذ وموجه روجيه اسمه عزرا باوند . كان يهوديا أمريكيا له أشعار متوسطة وكان يلزمُ إليوت ملازمة ظله . وهدفي من إيراد هذا النموذج من شعر زعيم الحداثة في مصر أن توازن صورته اللفظية بالصور التي أوردناها من شعر الأصالة .

يقول صلاح عبد الصبور :

كَانَ الْإِنْسَانُ الْأَفْعَى يَجْهَدُ أَنْ يَلْتَفَّ عَلَى الْإِنْسَانِ الْكُرْكِيِّ

فَمَشَى بَيْنَهُمَا الْإِنْسَانُ الثَّعْلَبُ

عَجَبًا !! زَوَرَ الْإِنْسَانُ الْكُرْكِيَّ فِي زُورِ الْإِنْسَانِ الثَّعْلَبِ

نَزَلَ السُّوقَ الْإِنْسَانُ الْكَلْبُ

كَيْ يَفْقَأَ عَيْنَ الْإِنْسَانِ الثَّعْلَبِ

وَيَدُوسُ دِمَاحَ الْإِنْسَانِ الْأَفْعَى

وَاهْتَزَّ الشُّوقُ بِخَطَوَاتِ الْإِنْسَانِ الْفَهْدِ

قد جاء ليقر بطن الإنسان الكلب
ويمصّ نخاع الإنسان الثعلب
ونحن نقول (اعوذ بالله من همزات الشياطين وتخريب المخربين





هذا العنصر المهم من عناصر شعرنا كان من أجل وسائل التشويق لأن النفس تسأم الرتابة والتكرار . وتعشق التنوع والابتكار . إن الذي كرهه الناس في شعر الحداثة أنه لا يكاد يخرج عن موضوع واحد هو (الوجدانيات المسوخة السّاخرة) بينما شعرنا الأصيل مَعْرُضٌ عبقري يرضي كلّ نهاذج الأذواق والمشاعر . يَسْرُو ويشجي ويضحك ويبكي ويرسم بريشة العاطفة لوحات عبقرية للحب والكره ، والرضا والسخط ، والسُرور والحُزن . وتقرأ فيه ما تشتهي من أدب وحكمة ، ومن رثاء وهجاء ، ومن غزل ونسيب ومن دعابة وعتاب مما جعل لشعرنا شعبيةً وعشاقاً يحفظون منه آلاف الأبيات ويتمثلون به في المناسبات الملائمة للأغراض فيبعثون السرور في مناسبة الفرح ويشيعون الصبر في مواطن العزاء وينثرون العقول في مواطن الحكمة . وبذلك كان الشعر الأصيل رُوحَ المجالس وريحانها وغذاء القلوب وألحانها ، وسوق البلاغة وميدانها ولا أجاوز الحقيقة إذا قلت إننا منذ ابتلينا بشعر الحداثة فقدنا بهجة المجالس وأنس المجالس (بضم الميم) وتحولت أسفارنا العذبة عن مجانى الأدب إلى مجالب التعب . وإنني متحفّ أسماع القراء

بنماذج من تنوع الأغراض كمحطة استراحة .
فمن شعر الأدب والحكمة هذه القطعة لأبي نواس وقد جمعت إلى جانب
الغرض النبيل السطوع الجميل :
أَيَّامَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ مَجِيرُ
بِعَفْوِكَ مِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ
أَنَا الْعَبْدُ الْمَقْرُبُ بِكُلِّ ذَنْبٍ
وَأَنْتَ السَّيِّدُ الْمَوْلَى الْقَدِيرُ
فَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَبِسُوءِ فَعْلِي
وَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ بِهِ جَدِيرُ
أَفِرْ إِلَيْكَ مِنْكَ وَأَيْنَ إِلَّا
إِلَيْكَ يَفِرُّ مِنْكَ الْمُسْتَجِيرُ
ومن شعر الغيرة الدينية والوطنية هذه المقطوعة لنصر بن سيار وكان من
رجال بني أمية في آخر عهد دولتهم وقد رأى تطاحن المسلمين فيما بينهم فقال
هذه الأبيات الخالدة التي تستحق أن يخاطب بها العرب في هذه الأيام :
مَا بِالْكُمْ تَلْقَحُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ
كَأَنَّ أَهْلَ النَّهْيِ (١) عَنْ رَأْيِكُمْ عَزَبُوا
وَتَتْرَكُونَ عَدُوًّا قَدْ أَظْلَكَكُمْ
بِالْخَوْفِ وَالْقَتْلِ لَا دِينَ وَلَا أَدَبُ
قَوْمٌ يَدِينُونَ دِينًا مَا سَمِعْتُ بِهِ
مَنْ الرُّسُولِ وَلَمْ تَنْزِلْ بِهِ كُتُبُ
فَمَنْ يَكُنْ سَائِلًا عَنْ أَصْلِ مِلَّتِهِمْ
فَإِنَّ دِينَهُمْ أَنْ يُقْتَلَ الْعَرَبُ
وهنا نماذج لتنوع الأغراض في شعرنا مع سطوعه وإماتعه في كل غرض وفي
كل موضوع :

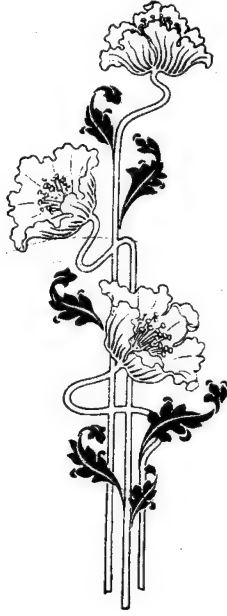
(١) العقول

فمن جيد الحكمة والأدب قول أبي نواس :
 لا تفرغ النفس من شغل بدنها
 رأيتهما لم ينلها من تمنّاها
 إنا ننافس في دنيا موليّة
 ونحن قد نكتفي منها بأدناها
 جذرتك الكبر لا تعلق بميسمه
 فإنه ملبس نازعته الله
 إني لأمقت نفسي عند نخوتها (١)
 فكيف آمن مقت الله إيّاها
 يا راكب الذنب قد شابت مفارقهُ
 أما تخاف من الأيام عقبها
 ومن نماذج المديح وهو الغرض الذي ينكره أهل الحداثة قول شوقي رحمه الله
 يرسم المثل العليا مقتبسة من أخلاق رسول الله ﷺ ومن سيرته :
 فإذا سخوت بلغت في الجود المدى
 وفعلت مالا تفعل الأنواء
 وإذا عفوت فقادراً ومقدراً
 لا يستهين بعفوك الجهلاء
 وإذا خطبت فللمنابر هزّة
 تعرو الندى وللقلوب بكاء
 وإذا رحمت فأنت أم أو أب
 هذان في الدنيا هما الرحاء
 وإذا أخذت العهد أو أعطيته
 فجميع عهدك ذمّة ووفاء

(١) غطرتها

ومن الفخر السامي قول أبي الطيب :
 وغير فؤادي للغواني مطيئة
 وغير بناني للزجاج ركاب
 تركنا لأطراف القنا كل لذة
 فليس لنا إلا بهن لعاب
 أعز مكان في الدنيا سرج سابح
 وخير جليس في الزمان كتاب
 ومن المشاركات الاجتماعية قول البوصيري رحمه الله وقد لاحظ أن معظم
 موظفي المالية كانوا من النصارى واليهود ورأى معظم موظفي الدولة ينهبون أموالها
 فكتب إلى الوزير بهذه الأبيات :
 نقذت طوائف المستخدمينا
 فلم أر منهم رجلاً أميناً
 أمولاي الوزير غفلت عما
 يتم من اللثام الكاتبينا
 تنسك معشر منهم وعدوا
 من الزهاد والمتسكيننا
 وما أخشى على أموال مصر
 سوى لص نسمة الأميننا
 يقول القبط نحن ملوك مصر
 وإن المسلمين لغاصبوننا
 وقام بنا يهودي خبيث
 يسوم المسلمين أذى وهوننا
 إذا ألقى بها موسى عصاه
 تلقفت القوافل والسفيننا
 وفي مال الحكومة أي نهب
 فليتك لو نهبت انناهيها

وبالمناسبة فقد كان البوصيرى رحمه الله ظريفاً فيه نكتة كسائر المصريين مع أنه
أشتهر ببردته في مدح رسول الله ﷺ هي أشهر شعرٍ مُدح به النبيُّ الكريم ﷺ
ولولا ما وقع فيها من مغالاةٍ تطلُّ على الشرك لكانت أشرف المدائح النبوية .





كان شعرنا العربي ينبجس من ينبوع العواطف الثرة وكانت تلك العواطف تمنح العبارات في شعرنا فتحولها صوراً فنية رائعة . وقد لازم الصدق العاطفي المصور شعرنا عبر التاريخ فكنا نستمتع في شعر المعلقات في الجاهلية وفي شعر العذريين في العصر الإسلامي . فلما جاء عصر بني العباس شبت العواطف عن طوق الصحراء وخرجت الصور عن نطاق البداوة ، وأصبحت التصاوير العاطفية مترامية الآفاق . وفي العصر الحديث تدفقت العواطف من منطلق الوطنية والدين فحدث في الصور سمو ينطلق من شرف الحماسة الدينية والوطنية .

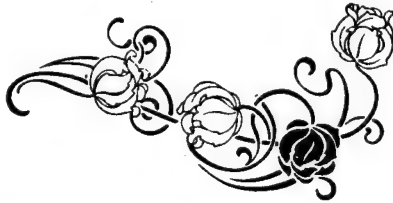
والحق أن الصدق العاطفي هو البوتقة التي تصهر في حرارتها كل عناصر القصيدة وبخاصة عنصر الخيال الذي يتأثر أكثر ما يتأثر بالعواطف المشبوبة . وذلك لأن العاطفة المشبوبة الصادقة لا يروي غليلها أن تقول للوطن أنت جميل وحدودك الجغرافية كذا وحاصلاتك عظيمة لكنها لا تكاد تذكر الوطن حتى تحوم في كل آفاق الجمال والسمو والكمال والروعة والجلال والقداسة والبركة فتعود بحصيلة من الصور تشكل أروع لوحة فنية لحب الوطن . وإني مورد هنا إن شاء الله نماذج من الأشعار التي يبرز في خصائصها الصدق العاطفي :

فمن ذلك هذه الأبيات التي قالها شوقي رحمه الله وهو في منفاه بإسبانيا يتشوق فيها لمصر المصورة في ضميره :

يا ساري البرق يرمي عن جوانحننا

بعد الهدوء وهمي عن مآقينا

لما ترقرق في دمع السماء دماً
هاج البكا فحُضَبْنَا الأرض باكِينا
الليل يشهد لم تَهْتِكْ ستائره
على نِيَامٍ ولم تهتف بسالينا
والنجم لم يَرْنَا إِلَّا على قدمٍ
قيامٍ ليل الهوى للعهد راعينا
ومن الشعر الذي يتجلى فيه التصوير العاطفي قول ابن ميادة :
غداً تمطرُ العينان من حُرقة النوى
ويبدو من النفس الكتوم ضميرها
أبصرُ عندَ البينِ قَلْبُكَ أَمْ لَهُ
غداً طَيِّرةٌ لا بدَّ أنه سيطيُرُها
ومن الشعر الذي يتألق فيه وهج العاطفة قول ابن الدُمينة :
أُميمةُ : في قلبي جراحٌ وحُرقةٌ
وأنت لها لو تعلمين طيبُ
فلو أن ما بي في الحصى فَلَقَ الحصى
وبالريح لم يُسَمِعْ هُنَّ هبوبُ
ولو أن أنفاسي أصابت بحرَّها
حديداً إذْ ظَلَّ الحديدُ يذوبُ
ولو أنني أَسْتَغْفِرُ اللهَ كُلَّما
ذَكَرْتُكَ لم يكتبْ عليَّ ذنوبُ



الباب الثالث

السُّعْر الَّذِي تَرْتَلِعُ إِلَيْهِ

١ - القادر على التأثير في النفوس

٢ - المتألق الشكل والقلب

٣ - الخفيف الظل والروح

٤ - المُجَمَّلُ بالبديع العفوي

٥ - ذو الطابع القصصي

٦ - الموقد لجذوة الحماسة

٧ - المعالج لمشكلاتنا الاجتماعية

٨ - المتحفظ بالموسيقى بأنواعها





دعوت مرةً شاعراً من الرياض من شعراء الحداثة ليلقي أمسية شعرية في نادي مكة المكرمة الأدبي فاعتذر لي قائلاً (إنَّ شعري غير منبري) وكان ذلك اعترافاً أنَّ شعره حين يُلقى على مسامع الجماهير لا يؤثر فيهم .

والحقُّ أن معظم شعر الحداثة لا يؤثر في المستمعين لا لأنه خالٍ من الوزن والقافية فحسب ، ولكنَّ لأنه إلى جانب ذلك غامضٌ دخيلُ المضمون والشكل ثم هو بعد ذلك لسانه عربيٌّ مخْلَع وفكره أعجميٌّ مريب .

من أجل ذلك عقدت هذا الباب وأكثرت فيه من النماذج بين عمودي وحرِّ لأثبت أن الحرِّ يمكن أن يهدى فيهدى ، ولأتيح للقارئ أن يستمع إلى ما يمتعه من روائع الشعر بعد أن حرم منها زمناً طويلاً في صخب القصيدة النثرية المزيفة .

ولقد استطلعت أذواق الكثيرين من المثقفين فتلوت عليهم النماذج ومنهم من أساتذة الأدب في الجامعات من المشهود لهم بالذوق الأدبي الرفيع فأعجبوا بها فقلت إذن ليغضب العاذل أو يرض ما دام الحبيب جميلاً .

وقديماً قال أبو الطيب رحمه الله :

وكما كمدَّ الحسادُ شيءَ قصده
ولكنَّه من يَرْحُم البحرَ يفرق

أما من لا يعجبه أمثال هذه النماذج فأصدق ما ينطبق عليه هو قول أبي الطيب

نفسه :

ألا تراني مقلّة عمياء

وإذا خفيت على الغبيّ فعاذرُ

أولاً : القادر على التأثير

نريدُ شعراً حالماً نقرأه أو نسمعه (نحسُّ بتأثيره) ونتجاوب مع شاعره ونرى أنَّ الرجل عبّر عن قلوبنا وضمايرنا وقال ما نريدُ أن نقوله .

وقد يقول قائل إن الناس يختلفون في تأثيرهم حسب أمزجتهم وثقافتهم ومن ثمّ فهذا المقياس غير دقيق . وأقول إن هنالك قدراً مشتركاً بين كلِّ الإنسانية من العواطف المتشابهة فالعاشق في اليابان كالعاشق في الاسكا والثاكلة في مدغشقر كالشاكلة في جزر الهاواي ونحن نتطلع إلى شعريؤثر في هذا القدر المشترك من مشاعر الإنسانية . لقد قرأت في الشعر الانجليزى قصيدة رثاء في محارب انجليزى اسمه السير جون موريتحدث فيها الشاعر عن موتة المحارب الغريب وكيف خطَّ الجنود مضجعه بأطراف رماحهم قرأتها فذكرت حالاً قصيدة مالك بن الربب التميمي حين حضرته الوفاة وهو عائد من القتال قريباً من خراسان فرثى نفسه بقصيدة في غاية التأثير يقول فيها مخاطباً صاحبيه .

وخطّأ بأطراف الأسنة مضجعي

ورداً على عيني فضل ردايشا

خُذاني فجرّاني بثوبي إليكما

فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا

والحقُّ أن خاصيّة التأثير القوي للشعر لا تنجم عن سبب واحد وإنما تشارك فيها كلُّ العناصر الفنية من عاطفة وتصوير وشكل ومضمون فتتعاون معاً لتجعله قادراً على أن يبكي ويسترقص ويقطع نياط القلوب .

وهذه أبيات من قصيدة مالك بن الربيع التي رثى بها نفسه أجزم أنها تؤثر في
 كل إنسان عربياً كان أم أعجمياً رومانسياً كان أو كلاسيكياً :
 تذكرت من ييكى علي فلم أجد
 سوى السيف والرمح الرديني باكيا
 وأشقر محبوبك يحرق عنانه
 إلى الماء لم يترك له الدهر ساقياً
 أيا صاحبي رحلي دنا الموت فأنزلا
 برابية إني مقيم لياليا
 ولا تنسيا عهدي خيلي إني
 تقطع أوصالي وتبلى عظاميا
 ألا ليت شعري هل بكت أم مالك
 كما كنت لو عالجوا نعيك باكيا
 فيا راكبا إما عرّضت (١) فبلغن
 بني مالك والريب أن لا تلاقيا
 وسلم على شيخني منى كليهما
 وبلغهما أني على العهد باقيا
 وعطل قلوصي (٢) في الركاب فإنها
 ستبرد أكباداً وتبكي بواكيا
 وبالرمل منا نسوة لو شهدني
 بكن وفدين الطبيب المداويا
 فمنهن أمي وابتلى وخالتي
 وبأكية أخرى تهيج البواكيا
 والحق أنه ليس من السهل على الشاعر أن يؤثر في مستمعيه لأن التأثير هو

(١) وصلت العارض . منطقة من نجد

(٢) ناقتي

عصارة جميع العناصر البديعة . والقارىء أو السامع لا يتأثر باللفظ الركيك ولا بالمعنى السوقي حتى ولو صدر عن عاطفة قوية وقديماً سخر الناس من الشاعر الذي قال :

باض الهوى في فؤادي وفرّخ التذكار
لقد مرّ عليّ في العام الماضي أكثر من عشرة دواوين جديدة لم أستطع أن أضمّ
لمختارتي منها بيتاً واحداً وخصوصاً مما يسمونه الشعر المنشور وكنت إذا قسرت
نفسي على قراءتها أحسست أني أتجرع كلوريد البوتاسيوم .
وهنا يتيح لي السياق أن أهدي إلى القارىء هذه الطاقة الجميلة من أزهار
الشعر المؤثر في وقت صوّح فيه روض الأصالة وصمتت عنادها .

يقول يزيد بن الطثرية في موقف وداع :
ولما وقّفنا للرّحيل جالنا

وجدّ بنا وجدّ وسالت مدامع
تبّدّت لنا مذعورة من خباثتها
وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت بأطراف النّان وودعت
وقالت بعينيها : متى أنت راجع
فقلت لها والله ما من مسافر
يسير فيدري ما به الله صانع
فشالت نقاب الحُسن عن حرّ وجهها
وسالت من الطّرف الكحيل المدامع
وقالت : إلهى كُن عليه خليفة
فياربّ ما ضاعت لديك الودائع
ومن شعر العشاق العذريين كثير من هذه الألوان من الإبداع المؤثر كقول
مجنون بنى عامر :

أراني إذا صليت يممّت شطرها
بوجهي وإن كان المصلّي ورائيا

أصلي فما أدري إذا ما ذكرتها
أنتين صليت الضحى أم ثمانيا
وما بي إشراك ولكن حبها
وطول الجوى أعياء الطبيب المداويا
يقولون ليلي بالمراق مريضة
ويا ليتني كنت الطبيب المداويا

وقول جميل :

أرى كل معشوقين غيры وغيرها
يلذآن في الدنيا يلتقيان
أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها

لي الويل مما يكتب الملكان
وهذا نموذج من الشعر الحرقأته فأثر في نفسي وهو للشاعر السوداني الذي نشأ
وعاش بمصر محمد مفتاح الفيتوري من قصيدة بعنوان (مذكرات حاج يخاطب
فيها رسول الله ﷺ وقد سبق أن قلت إن من الشعر الحر ما يتسع له صدر الشعر
العربي :

يا سيدي
عليك أفضل السلام
من أمة مضاعه
خاسرة البضاعة
تقذفها حضارة الخراب والظلام
يا سيدي

منذ ردنا البحر بالسدود
وانتصبت ما بيننا وبينك الحدود
متنا وداسنا فوقنا ماشية اليهود
ولعل من أروع نماذج الشعر المؤثر هذين البيتين لشاعر اسمه امرؤ القيس بن

عابس وكان يعشق فتاة من أبرع خلق الله جمالاً وأتمهم أدباً وكمالاً وكانت تتظاهر
أنها لا تأبه به حرصاً على سمعتها وضناً بكرامتها فمرض امرؤ القيس من الوجد
مرضاً شديداً حتى أشرف على الموت وبلغ خبره الحبيبة فعطفت عليه وقالت في
نفسها أزوره مع العائدات لعلّي أخفف عنه واصطحبت بعض أترابها فدخلن
عليه وقلن له هذه فلاتة جاءت تسلم عليك . فحاول الجلوس ولكن المرض غلبه
فدنت هي منه وسلمت عليه وأظهرت نحوه شعوراً من الحنان والتعطف ولكن
بعد فوات الأوان فنظر إليها نظرة جمعت كل معاني الأسى والسرور وأنشد
ولما رأتنني في النزاع تعطفن

عليّ وعندي من تعطفها شغل
دنت وحياض الموت بيني وبينها
وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل
ومن قبيل هذا الشعر المؤثر هذه المقطوعة من الغزل لجرير ومن العجيب أنها
وردت في مطلع قصيدة هجاء هجاها الأخطل .
بان الخليط ولو طووعت ما بانا
وقطعوا من جبال الوصل أقرانا
حيّ المنازل إذ لا نبتغي بدلاً
بالدار داراً ولا الجيران جيرانا
لا بارك الله في الدنيا إذا انقطعت
أسباب دنياك من أسباب دنيانا
ياحبذا جبل الرّيان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبذا نفحات من يمانية
تأتيك من قبل الرّيان أحيانا
هبت سحيراً فذكرى ما ذكرتكُم
عند الصفاة التي شرقي حوَارنا

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ
 قَتَلْتَنَاهُ لَمْ يَحْيَيْنَا قَتْلَانَا
 يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ
 وَهِنَّ أضعف خلق الله إنساناً

وهذه صرخة غنائية مؤثرة لابن زيدون :

متى أبُثُّكَ مابِي يا راحتي يا عذابي
 متى ينوبُ لساني في شرحه عن عتابي
 يا سلوة المتعزّي ومُنِيَّةَ المتصابي
 الشمسُ أنتِ توارت عن ناظري بالحجاب
 ومن الأبيات المؤثرة هذه المقطوعة التي تصوّر الذوق والعفاف في معاملة
 الجيران .

يقول العجير السُّلُوي :

يَبِينُ الْجَارُ حِينَ يَبِينُ عَنِّي
 وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَيَّ كَلَابُ جَارِي
 وَتَظْمَنُ جَارَتِي مِنْ جَنْبِ بَيْتِي
 وَلَمْ تُسْتَرْبِ سِتْرَ مَنْ جَدَارِ
 وَتَأْمَنُ أَنْ أَطَالَعَ حِينَ آتِي
 عَلَيْهَا وَهِيَ وَاضِعَةُ الْخَمَارِ
 كَذَلِكَ هَدَيْتُ أَبَائِي قَدِيمًا
 تَوَارِثَهُ الْكِبَارُ عَنِ الصِّغَارِ



ثانياً:



نريد شعراً تستأمله القالب والسرّ

ونألق القالب لا بتأتى إلا لشاعر موهوب أولاً وخير باللغة ثانياً نريد شعراً ألفاظه تامة الخصائص بحيث يكون أبرز خصائصها أن تكسو المعاني حُلّة متناسقة ملائمة لطبيعتها . تقرأها في النسيب كثوب الحرير المتموّج وتقرأها في الشكوى رقراقة كالجدول الشفاف وتقرأها في مواطن الحماسة متفجرة لها دوي . نريد شعراً يقف عند مستوى رفيع في القالب لا يتدنّى عنه ولا نريد شعراً يحطب ألفاظه من كُناسة التعبير بين عامية وحوشية ومبتذلة . نريد شكلاً تعبيرياً أنيقاً نظيفاً يبدو فيه أثر الثقافة اللغوية العالية وأثر الموهبة الأصيلة الغزيرة . نريد شعراً يحوّل الحروف أنعاماً تداعبُ السمع فيدقُّ لها القلب . أمّا كيف يتأتى ذلك فالطريق لا شك شائك لا يقوى على اعتسافه إلا أهل الأدب والدّأب . إن أداة الفنّ الشعري لا تعطي مقاليدها إلا شاعراً يتصرّف في الألفاظ كأنها كُتبان رملٍ على شاطئ عبقري يُشكل رملها كيف يشاء . أما أن يأتيك إنسان لا يكاد يميّز الفاعل من المجرور فيدعى أنه مُبدعٌ بمفهوم الحداثة فذلك شأن من سفة نفسه وجهل أدبه وارتضى أن يكون رابع الشعراء .

وهذا هو الداء الويل الذي سرى في كثير من أهل الحداثة إذ الجو النعيري
عندهم موبوء بالأخطاء وضالة المادة . وإني موردٌ هنا نماذج لشعراء قدامى
ومحدثين ممن أتوا في قوالبهم موهبة عجيبة منهم البحري من القدامى . وعلي
محمود طه وإبراهيم ناجي ومحمود حسن إسماعيل ونزار من المحدثين .
من ذلك قول علي محمود طه من قصيدته (القمر العاشق)

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المُنْشَى
ورفَ عليك مثل الحُكْم أو إشراقه المعنى
وأنت على فراش الطَّهر كالزنبقة الوُشْنَى
فضمي جسمك الغالي وصوني ذلك الحسنَا
ولعل النموذج التالي من شعر الأخطل الصغير من أصدق نماذج الموسيقى
اللفظية الراقية .

نَصَبَ الحُسْنُ عَرْشَه فَسألْنَا
مَنْ تَرَاهُ لَهُ فَذَلَّ عَلَيْكَ
فاسْكبي رَوْحَكَ الحَنُونِ عَلَيْهِ
كَانَسْكَابَ السَّمَاءِ فِي عَيْنِكَ
مَا تَغْنَى الهَزَارُ إِلَّا لِيَلْقَى
نَغَمَاتِ الجَمَالِ فِي أُذُنِكَ
قَتَلَ الوَرْدُ نَفْسَهُ حَسِداً مِنْكَ
وَأَلْقَى دِمَاءَهُ فِي وَجْتِكَ
وَالْفَرَاشَاتُ مَلَّتْ الزَّهْرَ لَمَّا
حَدَّثَهَا الْأَنَامُ عَنْ شَفَتِكَ
سَكَّرَ الرُّوْضُ سَكْرَةً صَرَعَتْهُ
عِنْدَ مَجْرَى الْعَبِيرِ مِنْ نَهْدِكَ
وانظر إلى هذه الأبيات الثلاثة للبحري يفخر فيها بقومه وتأمل على الأخص
انسياب القافية

يَحْسُنُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ وَالْأَحَادِيثُ

إِذَا حَدَّثَ الْحَدِيدُ الْحَدِيدَا

فِي مَقَامٍ تَخَرُّ مِنْ ضَنْكِهِ الْبَيْضُ

عَلَى الْبَيْضِ رُكْعاً وَسَجُودَا

فَإِذَا الْمَحَلُّ جَاءَ جَاءُوا سَيُولَا

وَإِذَا النَّقْعُ ثَارَ ثَارُوا أَسْوَدَا

وَمِنْ نَمَازِجِ إِبْرَاهِيمَ نَاجِي قَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةِ الْأَطْلَالِ وَهِيَ قَصِيدَةُ أَوْضَحَ
خَصَائِصِهَا رَوْعَةُ الْآلَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ .

يَا حَبِيباً جِئْتَ يَوْمًا أَيْكَهُ

طَائِرُ الشُّوقِ أَغْنَى أَلْمِي

لَكَ إِبْطَاءُ الْمَدَلِّ الْمُنْعَمِ

وَتَجَنَّبِي الظَّالِمَ الْمُتَحَكِّمِ

وَحِينِي لَكَ يَكْوِي أَضْلَعِي

وَالشَّوَانِي جَمَرَاتٍ فِي دَمِي

وَمِنْ الْأَلْفَاظِ الرَّائِعَةِ الْإِشْرَاقُ مَا نَقَرُوهُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِمَحْمُودِ حَسَنِ إِسْمَاعِيلَ
يَخَاطَبُ بِهَا النَّيْلَ مِنْ قَصِيدَتِهِ (النَّهْرُ الْخَالِدُ) .

سَمِعْتُ فِي شَطْطِكَ الْجَمِيلِ

مَا قَالَتِ الرِّيحُ لِلنَّخِيلِ

يَسْبَحُ الطَّيْرُ أَمْ يُغْنِي

وَيُشْرِخُ الشُّوقُ لِلْخَلِيلِ

وَأَغْصَنُ تِلْكَ أَمْ صَبَايَا

شَرِبْنَ مِنْ خَمْرِهِ الْأَصِيلِ

وَمِنْ الرُّمُوضَاتِ التَّعْبِيرِيَّةِ لِنَزَارِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مِنْ قَصِيدَتِهِ (أَيْظُنُّ)

حَمَلَ الزَّهْوَرُ إِلَيَّ كَيْفَ أَرَدُهُ

وَصَبَايَا مَرَسُومٍ عَلَى شَفْتَيْهِ

خَبَّأتُ رَأْسِي عِنْدَهُ وَكَأَنِّي
 طِفْلٌ أَعَادُوهُ إِلَى أَبِيهِ
 سَأَلْتُهُ وَسَأَلْتُ عَنْ أَخْبَارِهِ
 وَبَكَيْتُ سَاعَاتٍ عَلَى كَتِفِهِ
 وَبَدُونُ أَنْ أَدْرِي تَرَكْتُ لَهُ يَدِي
 لَتَنَامَ كَالْعَصْفُورِ بَيْنَ يَدَيْهِ



ثالثاً :

الخفيف الظل والروح

حين يكون الشاعر لطيفاً خفيف الظل والروح ينعكس لطفه وخفة روحه وظله في
 مرآة شعره المجلوة وقد ساءني في هذه الأيام أن كثيراً من الشعري يعكس لصاحبه
 صورة كثة ثقيلة كأنها المكابوس الجاثم على صدر القارئ .

إننا نريد شعراً نلمس فيه خفة روح صاحبه وخفة روح موضوعه . نريد شعراً إذا قرأناه ارتسمت على الشفاه ابتسامة رضا وسرور وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الشاعر لطيفاً بلا تكلف لأن التكلف للطف يجعله كالابتسامة المرة الصفراء . والحق أن معظم شعر الحداثة في هذه الأيام لا يستطيع أن يرسم على الشفاه ابتسامة . لأنه يصدر في معظمه عن نفوس يُلْفها سوادُ العبودية الفكرية وقد يقول قائل : نحن في هذه الأيام إلى العزيمة الجادة أحوج منا إلى الثغور الباسمة ونحن نقول ياليت شعر الحداثة دعانا إلى العزائم الجادة المجاهدة . لقد كتب أدونيس نقداً للشاعر الفلسطيني محمود درويش أخذ فيه على شعره أن فيه رائحة لا يحبها ولا يرتاح إليها ألا وهي رائحة الجهاد . وسأعرض نماذج تقرأها فتحس أن الشاعر جليساك يمتلك بظله الخفيف ومزاجه الظريف وروحه اللطيف يقول أحدهم في غادة بدت له في حلة خضراء :
بدت في قميص لها أخضر

كما ستر الورق الجلنارة (١)

فقلت لها : ما اسم هذا اللباس ؟

فقلت : نسميه شق المارارة

وهذه أبيات ذات تشبيهات عادية لا طرافة فيها لكن خفة روح الشاعر جعلتها ظريفة حلوة وهي لشاعر اسمه الخبز أرزي عباسي من نسل الحسن بن علي رضي الله عنهما :

رأيت الهلال ووجه الحبيب

فكانا هلالين عند النظر

فلم أدر من خیرتي فيهما

هلال السما من هلال البشر

ولولا التورّد في الوجتين

وما راعني من سواد الشعر

لكنت أظن الهلال الحبيب

وكنت أظن الحبيب القمر

ومن أطرف الأبيات التي تعكس خفة دم الشاعر قول ابن مُسلم يتغزل
بجارية سوداء وجَّهها كالفتحم :

لام العواذل في سوداء فاحمة

كأنها من نفيس المسك تمثال

فقلت لا تعذلوني إن لي نظراً

في الحسن والحسن ألوان وأشكال

الناس تعشق من خال بوجته

فكيف بي وحبيبي (كله خال)

واقراً هذين البيتين من أحلى نماذج خفة الدم :

مررت بحارس بُستانٍ فقال لها

سرقت رُمانَ هذا الصدر من شجري

فصاح في وجتيها الجَلَنارُ^(١) لقد

ظَلَمْتَهَا ، إن هذا النهد من ثمرى

وقال شاعر يتغزل في فتاة سودانية كان على خدَّها شرطٌ أي جرحٌ بالمشراط

للزينة :

بروحي مشروطاً على الخدِّ أسمراً

وقد رقُّ لي بعد التجنُّب والسُّخْط

وقال : على اللثم اشترطنا فلا تزد

فقبَّلْتَه الفأ على ذلك (الشرط)

ومن الأبيات التي نلمس فيها خِفة ظَلَّها مع أن بشاراً قائلها كان من أثقل

الناس جُثَّة :

يا حلوة القدِّ إنني لا أُسميك

لكن أكنِّي بأسماءٍ وأعنيك

(١) زهرة الرُمان

أخشى عليك من الجارات حاسدةً
أَوْسَهُمْ غيران يرميني ويرميك
يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر
إلا شهادة أطراف المساويك
قد زُرْتنا مرّةً في العمر واحدةً
عُودي ولا تجعلها بيضةً الديك
وكان شعر البدو خفيفاً معظمه ومن ذلك ما قاله بدويّ اسمه منظور بن سحيم
وقد خطب امرأةً فأرته نجوم الظهر من شراستها فباع حماراً له وجُبةً وافتدى نفسه
منها وأنشد :
ذهبتُ إلى الشيطان أخطبُ بتّه
فأوقعها من شقوتي في حبالها
فأنقذني منها حماري وجُبتني
جزى الله خيراً جُبتني وحمارياً
ومن الطرائف الممتعة ذات الظل الخفيف هذه الأبيات الغزلية التي توحى لك
في النظرة الأولى أن المحبّ له ثأر عند حبيبه ومن ثمّ فهو يستعدي الرياح أن تنتقم
له من هذا الجميل المتحكم والأبيات للطغرائي من شعراء العصر العباسي
الثاني :
بالله يا ريحُ إنْ مَكَّنْتَ ثانيّةً
من شَعْرها فأقيم فيهِ وأُستري
وراقبي غفلةً منها لتتَهزّي
لي فُرصةٌ وهي في نومٍ فتتصري
وباكري عَذبَ شَهِدٍ مِنْ مُقْبِلِها
يُحلو به اللثَمُ بينَ الطَّيِّبِ والخَصَرِ (١)

وإن قدرت على تشويش طرثها
 فشوشها ولا تبقي ولا تذري
 وطوفي حول نهديها لتغتسلي
 في موجة العطر بين الورد والصدر
 ثم ادخلي بين ثوبها على مهل
 واروي من الطيب واثنيني على قدر
 ونهينني دون القوم وانتفضي
 علي والليل في شك من السحر
 لعل نفحة طيب من معذبتني
 تشفي غليل محب دائم الشهر

ومن النماذج الطريفة قول الشاعر :

لاح لي وجهها يباب الطاق
 ظيئة من مخدرات العراق
 قلت من أنت يا غزال فقالت
 أنا من لطيف صنعة الخلاق
 لا ترم وصلنا فهذا بناني

قد صبغناه من دم العشاق

ومن الشعر الذي يرسم الابتسامات هذه الرسالة الشعرية التي بعث بها
 البوصيري رحمه الله إلى أحد الوزراء يشكو إليه كثرة العيال وقلة المال :
 يا أيها المولى الوزير الذي

أيامه طائفة أمرة

إليك نشكو حالنا إننا -

حاشاك - من قوم أولى عسرة

في قلّة نحن ولكن لنا

عائلة في غاية الكثرة

إن شربوا البئرُ زيرُ لهم
 والشُّربةُ الواحدةُ الجَره
 وأقبلَ العيدُ وما عندهم
 قمحٌ ولا خُبزٌ ولا فُطرة
 يا ويلَهم إن عاينوا كعكةً
 في يدِ طفلٍ أو رأوا ثمرةً
 تشخَّصُ أبصارهم نحوها
 كم قائلٍ يا أبتا أعطنا
 بشهقةٍ تتبعها زفرة
 قطعتَ عنا الخيرَ بالمرة
 وأنت في خدمة قومٍ فهل
 تخدمهم يا أبتَي سُخرة
 وأمسِ زرات زوجتي أختها
 والأخت في الغيرة كالضرة
 وأقبلت تشكو لها حالها
 وصبرها للعيشة المرة
 قالت لها كيف تكون النسا
 كذا مع الأزواجِ ياعرة
 قومي اطلبني حقك منه بلا
 تلكؤ منك ولا فترة
 وإن تأبى فخذي دقته
 ثم انتفِها شفرة شعرة
 قالت لها .. ما هكذا عادتني
 لأن زوجي عنده ضجرة
 أخاف إن كلمته كلمةً
 طلقني . قالت لها (بغرة)

وهوئت قدري في نفسها
فعادت الزوجة مُحترّة
وعربت حولي فهددتها
فاستقبلت رأسى بأجرة
ومن تكن حالته هذه
لينظر المولى له نظرة

وقال بعضهم :
سألتها قبلّة يوماً وقد نظرت
شيبى وقد كنتُ ذا مالٍ وذا نَعَمٍ
فأعرضت ثم قالت وهي غاضبة
لا والذي خَلَقَ الأشياءَ من عَدَمٍ
ما كان لي في بياض الشيبِ من أربٍ
أفي الحياة يكون القطنُ حشوّ فمي
ومثله قول أبي الحسن الجزار يهجوزوجة أبيه :

تزوج الشيخُ أباي شيخَةً
ليس لها عقلٌ ولا ذهنٌ
لو برزت صورتها في الدُّجى
لخاف من منظرها الجنُّ
كأنها في فرشها مَيّتة
وشعرها من حولها قطنٌ
وسائلٌ يسأل كم سنّها

فقلت : ما في فمها سنٌ
وهذه طرفة في الهجاء من شعر أبي نواس تقرؤها فتحسُّ أنَّ صاحبها ظريف
أيا من سكرات الموت
فما تصلح أن تهجى
من طلعتَه أروخ
بلى تصلح أن تُسجن
ولا تصلح أن تمدح
أو تُصلَّب أو تُذبح

فيا ليتك إن أمسيت
ويا ليتك في بحر
لا تصحوا ولا تصبغ
وما تقدر أن تسبح

وللشاعر ابن دعلج تجربة مضحكة مبكية يمكن أن نسميها (أعرابي غريم)
ترسم صورة للبديوي حين يكون له دين على إنسان ويبدو أن ابن دعلج كان يحب
بني تميم ويسراعي شئونهم فلما لقي من الأعرابي عناء شديداً كتب الرقعة التالية
وأرسلها إلى أحد شيوخ بني تميم . وتبدو فيها خفة روح ابن دعلج :

إذا جئت الأمير فقل سلاماً

عليك ورحمة الله الرحيم

وأما بعد ذاك فلي غريم

من الأعراب قبّح من غريم

يلازم كل يوم باب داري

لرؤم الكلب أصحاب الرقيم

له مائة علي ونصف أخرى

ونصف النصف في صك قديم

دراهم ما انتفعت بها ولكن

قرئت بها شيوخ بني تميم

على أن من الشعر ما يكون ظريفاً وحكيماً معاً كقول دعلج الخزاعي يصف

حال الرجل الكريم حين يُبتلى بتجهم إنسان ساقط فيكون الأمر كارثة :

ولو أنني بليت بها شمي

خئولته بنو عبد المदान

لهان علي ما القى ولكن

تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

ومن الشعر الطريف حول فائدة الشكوى للصديق :

شكوت إلى عمرو وخفايا جوانحي

وجرّته من مَرّ ما أتجرّع

وقد تنفع الشكوى إلى ذي مروءة
يواسيك أو يُسليك أو يتوجع
وللأحنف العكبري يصف حاله مع الأحلام :
وأحلم في المنام بكل خير
فأصبح لا أراه ولا يراني
ولو أبصرت شراً في منامي
تحقق حلمنا قبل الأذان

وهذان بيتان فيهما ظرف وحكمة معاً :
وأشد ما ألقاه من الجوى
قرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس في البداء يقتلها الظمأ
والماء فوق ظهورها محمول
ولبرهان الدين القيراطي يذكر الشعر البارد :
سثم الكرام الشعر غثاً بارداً
إن احتقار الغث ليس بعار
لم يسموا بذل العطاء وإنما
برد الندى لبرودة الأشعار
وهذه رسالة شعرية أرسل بها برهان الدين القيراطي إلى صديق متكبر يعلن
فيها قطع العلاقات معه :
أخي والله قد ملئ الوطاب^(١)
وداخلني بصحبتك ارتياب
رجوتك مرةً وعتبت أخرى
فما أجدى الرجاء ولا العتاب

(١) سقاء اللين .

نبذت مودتي فاهناً بغيري

وآخر عهدنا هذا الكتاب

وقريب من هذا قول صقر الشيب رحمه الله وكان صقر شاعراً يجمع لطف
الروح والصرامة :

ولم أَلَمْ أَجْذُ فِي النَّاسِ حُرّاً

يُعِينُ عَلَى مُلَمَّاتِ الْأُمُورِ

نبذت الناس ظهرياً ورائي

وناديت المنون ألا فزوري

فمثلي ماله في الناس عيش

وهل في العيش خير للفقير

أخاف إذا بقيت تذلل نفسي

على طمع لذي مال كثير

فأمدحه مدائح اللواتي

تعز على الفرزدق أو جرير

فيجزيني على شعري شعيراً

وما أنا في البغال ولا الحمير

ولكنني (كما سُميت) صقر

وهل أبصرت ذلاً في الصقور

رابعاً : نريد شعراً يجمّله البديع العفوي



إن الشكر للتراث البديعي يُفقد أدبنا عنصراً هاماً من مقومات إمتاعه . لأن البديع بلا شك يجمّل الكلام ويحلّيه . على ألا يُغرق الشعراء في البديع فيشطّ بهم إلى التكلّف المصنوع ، ولقد كان البديع يقع عفويّاً في الشعر الجاهلي والإسلامي

ومطلع العصر العباسي وكان لذيذاً يحدث في النفوس ارتياحاً . فظنّ بعض الشعراء أنّ هذا البديع لو كثرتكرّر فإن المتعة تتكرر معه . وعندئذ أكثروا من البديع كما فعل أبو تمام وحذا حذوه معاصرو ابن العميد ففسد الشعر وكان مثلهم كمن يضع في الطعام حفنة من الملح ليعتدل طعمه فيفسد من حيث أراد له الصلاح .

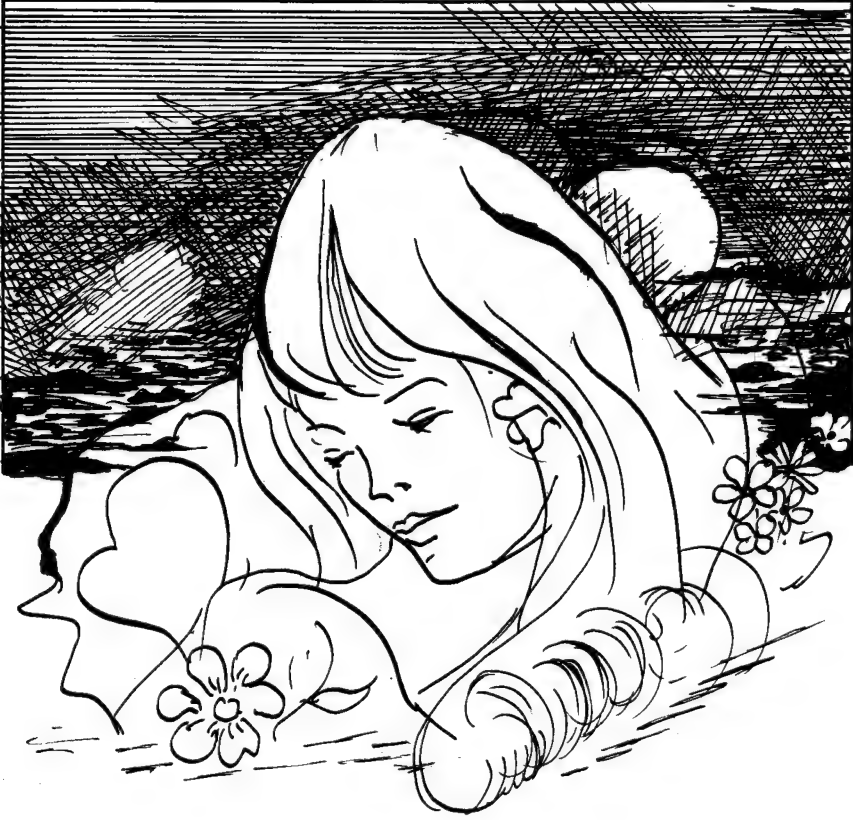
والحق أن البديع كملح الطعام وهو حين يأتي في عفوية واعتدال يطرب ويمتع وقد كان شوقي رحمه الله يستعمل البديع بمعقولية فيطرب ويعجب كقوله رحمه الله :

ولي بين الضلوع دمٌ ولحمٌ
هما الواهي الذي تكل الشبابا
تسرّب في الدموع فقلت ولّى
وصفّق في الضلوع فقلت آبا
وكقول إبراهيم ناجي رحمه الله :

يا فؤادي لا تسل أين الهوى
كان صرحاً من خيال فهوى
أسقنى واشرب على أطلاله
واروعي طالما الدمع روى
وكقول علي محمود طه رحمه الله :

شاعت الفرحة فيها والمسرة
وجلا الحبُّ على العشاقِ سرّة
يمنةً ملّ بي على الماء ويسرة

ليت هذا الليل لا يُطلع فجرة
لقد كنا وما زلنا نقرأ كثيراً من الأبيات ذات الحلية البديعية فنستمع بها وبخاصة الطباق والجناس والتورية وحسن التعليل وأسلوب الحكيم وتأكيّد المدح بما يشبه الذم ومراعاة النظر .



فمن التوريات التي حفظتها لأنني طربت لها قول شاعر مصري اسمه
عبدالواحد الرشيد يهجو قاضياً :
وقاضٍ تُعْطِلُ أَحْكَامَهُ

وأحكام زوجته ماضية

فياليتَه لم يكن قاضياً

وياليتها كانت القاضية

ومن ذلك قول ابن منظور يخاطب حبيبه الطاعن إلى وادي الأراك والأراك كما
هو معروف شجرتؤخذ منه أعواد السواك :

بإله إن جُزّت بوادي الأراك

وقبّلت أغصانه الخضر فاك

ابْعَثْ إِلَى المحروم من بعضه
فإني والله مالى سواك
وقال الشاعر مستخدماً في توريته الفاظاً من علم مصطلح الحديث :
نَقَلَ الأراك بأن تغرك شهده
من خمرة مُزجت بماء الكوثر
قد صَحَّ ما نقل الأراك لأنه

يرويه نصّاً عن صحاح الجواهر
وصحاح الجوهريّ قاموس ممتاز معروف لكنّ الشاعر يقصد تلك الأسنان التي
تشبه الجواهر الصّحاح . ومن التوريات المتأثرة بالقرآن الكريم وأسماء السُّور قول
أحدهم :

أناشده الرحمن في جمع شملنا
فيقسم هذا لا يكون إلى الحشر
إذا ما غدا مثل الحديد فؤاده

فوالعصر إنّ العاشقين لفي خسر
وهذا بيت فيه توريّتان لطيفتان في كلمة (جد) ومعناها الحظ وكلمة (خال)
والخال حبة سوداء مخضرة تكون في الخد :

وكنّت أختاً ليلي فأصبحت عمّها
وهذه مقطوعة لصفي الدين الحلّي على هيئة حوار يشيع فيه محسن بديعي
يسمى أسلوب الحكيم وهو أن يكون السؤال أو الكلام عن شيء معين ويكون
الجواب عن أمر آخر :

قالت كحلّت العيون بالوسن
قلت انتظارا لطيفك الحسن
قالت تشاغلّت عن محبتنا

قلت لها : بالبكاء والحزن
قالت تسليّت بعد فرقتنا

فقلت عن راحتي وعن سكني

قالت تخَلَّيتُ قَلْبُكَ عَنْ جَلْدِي
 قالت تَغَيَّرَتْ قَلْبُكَ فِي بَدَنِي
 قالت أَذْعَتِ الْأَسْرَارَ قَلْبُكَ لَهَا
 سريرتي في هَوَاكِ كَالْعَلَنِ
 قالت سررت الأعداءَ قَلْبُكَ لَهَا
 ذلِكَ شَيْءٌ لَوْ شِئْتُ لَمْ يَكُنْ
 قالت فماذا تروم قَلْبُكَ لَهَا
 ساعة سَعِدَ بالوصلِ تَسْعِدُنِي
 وكانت تشدُّني بعض مطالع القصائد لما فيها من بديع فأحفظها كقول بعضهم
 من التورية والجناس :
 جوري فَوَزِدْكَ فِي خُدُودِكَ جوري ..
 وكقول الآخر الله جَارُكَ إِن دَمَعِي جَارِي ..
 وما أريد بسط الكلام والنماذج في هذا العنصر بالذات حتى لا يفهم منه أنني
 أعشقُ التكلُّفَ . لكنني بدون تحفظ أدعو إلى الحفاظ على تراثنا البديعي فهو لا
 يخلو من قدرة بلاغية على التجميل والتشويق .

خامساً: الطابعُ القصصيّ

ننظُّعُ أيضاً إلى شعره طابعُ قصصي وأسلوبُ جوارِيٍّ لأن في الإنسان غريزة حبّ القصص وقد كنت أستخدم القصة في العملية التعليمية فأستعمل الحوار بين الأدوات النحوية وأخيانا أرى درس النحو صعباً فأقول للطلاب/إذا أحستهم الإصغاء وفهمتم المادّة قصصت عليكم قصة ما سمعتموها في حياتكم فأرى عندئذ إصغاءً وتفهماً عجيبين وحسبك دليلاً على عشق القصة أن قصص

الأطفال التي يعرضها الرائي كثيراً ما يكون حولها عدد من اللحي البيضاء
تشاهدها وتضعني إلى أساطيرها باهتمام وحين تكون القصة الشعرية لطيفة الحوار
طريقة الأفكار تفعل بالعواطف الأعاجيب .

كهنه القصة الشعرية لبشارة الخوري (الأخطل الصغير)

هند وأمها

أتت هند يوماً إلى أمها

فسبحان من جمع النيرين

فقلت لها إن هذا الضحى

أتاني وقبلي قبلتي

وفر ، فلما رآني الدجى

جاني من شعره خصلتين

وما خاف يا أم بل ضمني

وألقي على مبسمي نجمتين

وذوب من لونه سائلاً

وكحلني منه في المقلتين

وجئت إلى الروض عند الصبح

لأحجب نفسي من كل عين

فناداني الروض يا روضتي

وهم لي فعل كالأولين

فخبأت وجهي ولكنني

إلى الصدر يا أم مد اليدين

ويا دهشتي حين فتحت عيني

فشاهدت في الصدر رمانين

وكان على غصنه وردتان

فقدم لي تينك الوردتين



ورحلت إلى البحر أشكو إليه
 فحملني ويحمه موجتين
 هو البحر يا أم كم من فتى
 غريق وكم من فتى بين
 فها أنا أشكو إليك الجميع
 فبالله يا أم ماذا ترين

فقلت وقد ضحكك أمها
 وماست من العجب في بردتين

عرفتهمو واحداً واحداً
وذقتُ الذی ذُقتِه مرتین

وهذه قصة من ثلاثة أبيات لشوقي رحمه الله وهي من شوقيات الأطفال :

سقط الحمارُ من السفينة في الدُجى
فبكى الرفاق لفقده وتَرَحُّموا
حتى إذا طلع الصُّباح أتت به

نَحْو السفينة موجةً تتقدَّم
قالت خذوه كما أتاني سالماً

لم أُبتلَعه لأنَّه لا يُهَضَمُ
ومن هذا القبيل جميع شوقيات الأطفال وكثيرٌ من شعر إيليا أبي ماضي
كقصيدته (موت شاعر) (والتينة الحمقاء) وقصيدة (النس) لعمر أبو ريشه (وتينة
الجبيل) لأحمد الصافي النجفي وهذه قصيدة ذات أسلوب قصصي رائع لنزار . ولو
هدى الله نزاراً فأكثر من مثل هذه لكان له شأن ، لكنه كأبي نواس أهدر طاقته
الجباره في سبيل إبليس .

والقصيدة التي نحن بصددِها بعنوان (أندلسية) وهو يحكي قصة مرشدة
إسبانية في قصر الحمراء بغرناطة .

في مَدْخَلِ الحمراء كان لقاءُنا
ما أطيبَ اللقياء بلا ميعادِ

سارتُ معي والشَّعْرُ يلهث خلفها
كسنا بِلِ تُركتُ بغيرِ حصادِ

ومشيتُ مثلَ الطِّفلِ خلفَ دليّتي
وورائي التارِيخُ كَومِ رمادِ

قالت : هنا الحمراء !! فخرُ جدودنا
فاقرأ على جدرانها أمجادِي

أعْجَادها ؟؟؟ ومسحتُ جرحاً نازفاً
ومسحتُ جرحاً ثانياً بفؤادي

يأليت وارثي الجميلة أدركت
أنَّ الذين عتَّهمُ أجدادي
ودَّعت فيها عندما فارقتها

رجلاً يُسمَّى طارقَ بن زياد
وهذه النماذج القصصية الممتازة قصيدة إيليا في البحث عن السَّعادة . حيث
فتش عنها في كل مكان وأخيراً وجدها بعد رحلة من العناء الهائل . وهذه الأبيات
ختام الرحلة :

فتَّشْتُ جَيْبَ الفجرِ عنها والدُّجى
ومددتُ حتى للكواكبِ إصبعي
فسوَّذْتُ أفراحي وطلَّقتُ المنى
ونسختُ آيات الهوى من أضلعي
حتى إذا نشرَ القنوطُ ضبابه
فوقِي وغَيَّبي وغَيَّب موضعي
عصر الأسى روجي فسالت أدماً
فلمحتُها ولمستها في أدْمي
وعلمتُ حين العلمُ لا يجدى الفتى
أن التى ضيَّعتها كانت معي



لادجاً:



نريد قبل هذا كله وبعد هذا كله شعراً حماسياً جاداً يوقد في عزائمنا جذوة الجهاد ويكشف من تحت أرجلنا ومن حولنا حباثل الفساد والإلحاد لا من ذلك الشعر الذي يسمى وطنياً وهو ادعاءات جوفاء . نريد شعراً كأنه المعالم المضيئة على طريق التضحيات ينير لنا منعطفات السبيل ويُشدُّنا إلى الكفاح الجليل .

كتلك القصائد الملهبة التي كنا نسمعها من حافظ إبراهيم ، وإبراهيم طوقان ، وخير الدين الزركلي ، والصافي ، والرصافي ، وعبدالرحيم محمود .

إن في ديوان إبراهيم طوقان رحمه الله قصائد وطنية هي سجل تاريخ ، وهاتف بطولة ، وصرخة أمة ، منها قصيدة (الفدائي) وقصيدة (الشهيد) وقصيدة (الثلاثاء الحمراء) التي قالها غداة إعدام الشهداء الفلسطينيين الزير وحجازي وجمجوم فطبقت في حينها العالم العربي :

لقد تنبأ إبراهيم رحمه الله بمصير فلسطين حين رأى بعينه ذلك التعاون المجرم الظالم بين سلاح بريطانيا وأموال اليهود منذ خمسين عاماً أو يزيد :

أمامك أيها العربي شوطٌ

تسيبُ هولُه سودُ النواصي

فما رَحِبُ القصور غداً بياقٍ
لأمتنا ولا ضيقُ الخصاص
مصيرك بات يلمسه الأذاني
وسار حديثه بين الأقاصي
لنا خصمان ذو حول وطولٍ
وآخر ذو احتيال واقتناص
تواصوا بينهم فغدا وبالأ
وإذلاً لنا ذاك التواصي
مناهج للإبادة واضحات
وبالحسنى تنفذ والرصاص
ومن شعر إبراهيم في الرؤساء المزيفين والزعماء الخائنين :
كم قد أحطنا خائناً
منهم بهالات القدياسة
ولكم أضعاف حقوقنا
الرجل الموكّل بالحراسة
والله ليس هناك إلا
كل قناص الرئاسة
تأتيه من بيع البلاد
وما لديه من الخساسة
وإذا اتقناك فبالجرائد
والنخاسة والنجاسة
ويتهكم بالانجليز المجرمين الذين حرسوا إجمام اليهود في فلسطين ثلاثين
عاماً لينفذوا وعد بلفور فيقول :
قد شهدنا لعهدكم بالعدالة
وختمنا لجنودكم بالبسالة

وعرفنا منكم صديقاً وفيّاً
 كيف ننسى انتدابه واحتلاله
 وخجلنا من لطفكم يوم قلتم
 وعدٌ بلفور نافذ لا محالة
 كلُّ أفضالكم على الرأس والعين
 وليست في حاجة لدلالة
 غير أن الطريق طالت علينا
 وعليكم فمالنا والإطالة
 اجلاءً عن البلاد تريدون
 فنجلو أم سَحَقْنَا والإزالة
 وفي المقطع الأول من اللوحة الفنيّة يرسم إبراهيم صورة الشهيد مصنوعة من
 جوهر الفداء ومعدن الكرم . نعم إنَّ أكرم الكرماء من خَلَقِ الله هو الشهيد لأنه
 جَادَ بأعلى ما يُفتدى :
 عبس الخطبُ فابتسم
 وطفى الهول فاقتم
 رابطُ الجأش والنُّهى
 ثابت القلب والقَدَم
 لم يبالِ الرَّدَى ولم
 يُننِّه فاجع الأَلَم
 نفسُه طوعَ هَمَّةً
 وجمتْ دونها الهَمَم
 تلتقي في مزاها
 بالأعاصير والحمَم
 تجمع الهائج الخضمَّ
 إلى الراسخ الأشم

وهي من عنْصُرِ الفداءِ
ومن جـوهرِ الكـرَمِ
ومن الحقِّ جذوةً

لفحْهُها حرَّ الرَّأْمِ
وفي مطلع اللوحة الفنية التي رسمها إبراهيم للفدائي يصوِّر إبراهيم الجوّ
الرَّهيب الذي يكتنف رسالة الفدائي :
لا تسأل عن سلامته

روحهُ فوقَ راحته
يرقبُ السَّاعةَ التي
بعدها هـولُ ساعته
شاغلُ فكر من يراه

بإطراقِ هامته
بين جنبيه خافقُ
يتلظى بغيايته
من رأى فحمة الدجى

أوقدت من شرارته
حَمَلتهُ جَهَنَّمُ
قبساً من رسالته
فادعى جوف نارها

أنها من جمالته

هو بالباب واقفُ

والرّدى منه خائفُ
فاهدئي يا عواصفُ
خجلاً من بسالته

صامتٌ لو تكلمَ
لفظ النار والدم
قل لمن عاب صمته
خلق الحزم أبكما
وأخو الحزم لم تزل
يذه تسبق الفما
لا تلوموه قد رأى
منهج الحق مظلماً
وبلاداً أجبه
ركنهما قد تهدما
وخصوماً يبغيه
ضجّت الأرض والسما
يا فلسطين شذما
حمل الضيم شذما
مرّ حين فكداد
يقتله اليأس إنما

هو بالباب واقف
والردي منه خائف
فاهدني يا عواصف
خجلاً من بسالته

ومن نأذج الشعر الوطنيّ هذه اللوحة الرائعة التي رسمها الاستاذ عمر أبو ريشه للبلاد العربيّة الجميلة الحلوة المغرية تحيط بها الأنياض والخناجر وهي نائمة :

يا عروساً تنام ملء المحاجر
شيعى الحلم والطيوف السواحر

أَن أَن تَفْتَحِي الْعِيُونَ إِلَى النُّورِ
 وَتُلْقِي عَلَى الظُّلَامِ السَّائِرُ
 مَا أَرَى عَالَمَ الرُّؤْيِ غَيْرَ مَاوَى
 لِنَفْسٍ دَارَتْ عَلَيْهَا الدَّوَائِرُ
 انْهَضِي فَالضُّبَّاحُ يَلْمَسُ خَدَّيْكَ
 وَيَنْسَابُ مِنْ خِلَالِ الضَّفَائِرُ
 وَانْظُرِي كَمْ هَفَّتْ إِلَيْكَ نِيوبُ
 وَأَحْطَأَتْ بِجَانِبَيْكَ خَنَاجِرُ
 إِنَّهُ الْحَسَنُ كَمْ يَجْرُ عَلَى الْحَسَاءِ
 شَرًّا وَكَمْ يَهِينُ حَرَائِرُ
 يَا بِلَادِي وَأَنْتِ نَهْلَةُ ظَمَانِ
 وَشَبَّابَةُ عَلَى فَمِ شَاعِرُ
 كَيْفَ مَالَتْ بِكَ اللَّيَالِي وَأَوْدَتْ
 بِالْبَقَايَا مِنَ الْعُهُودِ الْغَوَابِرُ
 مَا حَمَلْنَا ذُلَّ الْحَيَاةِ وَفِي الْقُوسِ
 نَبَالَ أَوْ فِي الْأُكُفِّ بَوَاتِرُ
 يَصْفَعُ الذَّنْبُ جَبْهَةَ اللَّيْثِ صَفْعًا
 إِنْ تَلَاشَتْ أُنْيَابُهُ وَالْأَظْفَارُ

وقد استيقظ نزار قباني في صحوة لا بأس بها وإن لم تكن راسخة على مبدأ بعد
 كارثة سبعة وستين فبدأ يشارك في الأم الوطن ومشكلات الضياع ، وهذه قصيدة
 من مشاركاته وهي وإن كانت من الشعر الحر لكنها جديرة بالتقدير .

أكتب باختصار
 قصة إرهابية مُجَنَّدَة

(١) إنَّ عالم الأحلام وهو النوم لا تلجأ إليه إلا النفوس الجبانة المنهزمة .



يدعونها راشيل
 كان أبوها قذراً
 من أقذر اليهود
 يزور النقود
 وهي تدبر منزلاً
 للفحش في (براغ)
 يروده الجنود
 وانتهت الحرب وأعلن السلام
 فأبحرت من شرق أوروبا
 سفينة تلعبها الرياح
 تغص بالجرذان والطاعون واليهود
 كانوا خليطاً من سقطة الشعوب
 من آخر الأرض من السعير
 جاءوا إلى موطننا المسالم الصغير
 فلطخوا تراثنا
 وأعدموا نساءنا
 ويتموا أطفالنا
 ولا تزال الأمم المتحدة .
 ولم يزل ميثاقها الخطير
 يبحث في حرية الشعوب
 وحق تقرير المصير
 ونزلت في أرضنا راشيل
 حلت محل أمي الممددة
 فليذكر الصغار
 حكاية الأرض التي ضيعها الكبار
 والأمم المتحدة

سابعاً: نريد شعراً يساهم في خدمة المجتمع



ونريد بعد شعراً لا يقف من مشكلات مجتمعاتنا وقفة الغبي المتفرج . بل يخوض فيها بعزيمة المصلح . نريد شعراً يهdy تطلعاتنا الحضارية ، ويرسم لنا مثلاً الأخلاقية والوطنية والدينية . نريد من الشعر أن يقف من هذا كله موقف الجاد المشارك الذي تشده خدمة مجتمعه وتؤثر فيه الآمه وآماله . نريده باعثاً لروح المواطنة المخلصة المؤمنة العاملة .

والحقيقة التي تذكّر الغضب والاشمئزاز أن كثيراً من شعرائنا في واد وحقوق أوطانهم في واد آخر إذا صاح الوطن من ظلم الأعداء سرحوا في أساطير اليونان وإذا اشتكى الوطن - تفرق الأهواء وتصدع الشمل حدثك الشاعر عن مصارعة الثيران في المسرح الروماني . لأن عدداً كبيراً من شعرائنا مشغول عن وطنه بأهوائه وعن أخلاقه بنزواته وعن واقعه بمغامراته . وبينما مجتمعنا المسلم ضائع في هباء ضعفه إذا كثير من شعرائنا يعيشون في أبراجهم العاجية يطلون منها على مروج الخرافات اليونانية والرومانية والفرعونية ويلهون فيها مع الوثنية الحمقاء

حيث الآلهة إيزيس وأوزيريس وبروميثيوس الذي أنقذ البشرية من غضب زيوس
ربّ الأرباب كما يقول البياتي زعيم شعراء الحداثة الذي اتخذ من خرافة
بروميثيوس محوراً لقصيدة تعسة من شعره عنوانها (سيرة ذاتية لسارق النار) .
لقد ساهم شعراؤنا قديماً في بناء المجتمع وإصلاحه والخوض الرجولي في
مشكلاته فهذا أبو العلاء يعالج زواج الشيخ الهرم من الكاعب الحسناء يبيعها
أبوها للشيطان بالعرض الأدنى فتكون في هذا فتنة في الأرض وفساد كبير يقول
حكيم المعرفة :

باد شيئه مثل النهار ولم يكن
يُشابه فجراً أو نجوم ظلام
يحدثها مالا تريد استماعه
ولم يبق عند الشيخ غير كلام
تقول له في النفس غير مبيّنة
خذ المهر منى وارحل بسلام
تود لو أنّ الله يعطيه صغفة

ليرزقها من بعده بسلام
ويقول القاضي الجليس من شعراء الفاطميين يعالج مشكلة الأطباء الأديعاء
الذين يضرون المرضى بالجهل والتخبط والشعوذة :

طبيب طبه كغراب بين
يفرق بين عافيتي وبينني
أتى الحمى وقد شاخت وباخت
فرد لها الشاب بوصفتين
وكانت نوبة في كل يوم

فصبرها بحذق مرتين
ويقول أبو الطيب حين رأى أقاليم الدولة العباسية تحت حكم العبيد :
بكل أرض وطئتها أمم

ترعى بعبداً كأنها غم

يَسْتَخِشُّنُ الْخَزْنَ حِينَ يَلْمُسُهُ
وَكَا أَنْ يُبْرِي بِظْفَرِهِ الْقَلَمُ
وَمِنْ هَذَا الصَّنْفِ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَصْرِ الْمُوصِلِيِّ يَنْتَقِدُ رَقَصَ الْمُتَصَوِّفِينَ بَعْدَ أَنْ
يَمْلَأُوا بِطُونَهُمْ مِنَ اللَّحْمِ وَالثَّرِيدِ :

مَتَى سَمِعَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ
بِأَنَّ الْغِنَا سُنَّةٌ تَتَّبَعُ
وَأَنْ يَأْكَلَ الْمَرْءُ أَكْلَ الْبَعِيرِ

وَيَرْقُصَ فِي الْجَمْعِ حَتَّى يَقَعُ
وَقَالُوا سَكْرُنَا بِحَبِّ الْإِلَهِ
وَمَا أَسْكَرَ الْقَوْمَ إِلَّا الْقَصْعُ
كَذَاكَ الْحَمِيرُ إِذَا أُخْصِبَتْ

تَنَاهَقُ مِنْ رِيحِهَا وَالشَّبَعُ
وَيَصِفُ دَعْبِلَ مَا آلَتْ إِلَيْهِ حَالُ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ فِي عَصُورِ الضَّعْفِ حِينَ
تَصَرَّفَ فِي رِقَابِهِمْ وَمَصَائِرِهِمْ خَدَمَ الْقَصْرِ فَكَانُوا يَسْمَلُونَ أَعْيُنَهُمْ كَمَا فَعَلُوا
بِالْخَلِيفَةِ الْقَاهِرِ :

خَلِيفَةٌ مَاتَ لَمْ يَحْزَنْ لَهُ أَحَدٌ
وَأَخْرَقَ قَامَ لَمْ يَفْرَحَ لَهُ أَحَدٌ
فَمَرَّ هَذَا وَكَانَ الشُّؤْمُ يَتَّبِعُهُ

وَقَامَ هَذَا فَقَامَ الْوَيْلُ وَالنَّكَدُ
وَفِي قَلَّةِ الْوَفَاءِ وَنَدْرَةِ الْأَصْدِقَاءِ يَقُولُ صَفِيُّ الدِّينِ الْحَلِّيُّ :

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَصْدِقَاءَ وَلَمْ أَجِدْ
خِلَاً وَفِيًّا لِلشَّدَائِدِ أَصْطَفِي
أَيَقْنَتُ أَنْ الْمُسْتَحِيلَ ثَلَاثَةٌ

الْفُؤُولُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْخِلُّ الْوَفِيُّ
وَفِي التَّنَاقُضَاتِ الْاجْتِمَاعِيَةِ يَقُولُ الشَّاعِرُ الْأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ الْمُقَرَّبِ مِنْ قَصِيدَةٍ
كَأَنَّهَا الصَّرْحَةُ الْمَدْوِيَّةُ :

أوليس عاراً أن تُسَيِّمَ بمرتعٍ
أكلتُ به المعزى لحوم رُعَاتِهَا
صَوْتُتُ حين دَعَوْتُ إلا أَنَّهُ
لا يبلغُ الأمواتَ صوتُ دَعَاتِهَا
فارغبْ بنفسك أن تقيمَ ببلدةٍ
عصفورُهَا يسطو بشُهْبِ بُزَاتِهَا
هوْنُ فقومك يا عليُّ حَيَاتِهَا
كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتِهَا كَحَيَاتِهَا
ولصفي الدين الحلي قصيدةٌ كانت بركةً على منطقة ماردين وقد نظمها الشاعرُ
حين سرق بيته وأحسَّ أثناء التحقيق أنَّ الشرطة ضالعون مع اللصوص وقد رفع
الشاعر القصيدة إلى السُّلطان فتدخل بنفسه وألقى القبض على اللصوص ومن
يظاهرونهم من الشرطة والقصيدة طويلة في ديوان الشعر يقول منها :
خطبُ لسانِ الحال فيه أبكم
وهوى طريق الحق فيه مظلم
إن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ
أو كنت تدري فالمصيبةُ أعظمُ
أبليقُ أن تخفى عليك قضيتي
وبطونُ عدنانٍ بها تتكلمُ
الله يحرسُ ماردين فإنها
بلدٌ يصول به الغريبُ ويحكمُ
بلدٌ به يسطو على الليث الطلأ
ويعبثُ في غاب الأسود الأرقمُ
ويمضي الشاعر إلى أن يقول في ختامها :
إن كان تعطيل الحدود لرحمة
فالله أرأف بالعباد وأرحمُ

هذه القضية للمفكر عبدة

والله أولى بالعباد وأعلم

وفي فترة من فترات الدولة العباسية كثر الشعاريير وفسدت روح النقد فقال
إبراهيم الغزي يصف ذلك الوضع :

ومن الحداث وهي أصل واحد

سيف الشجاع ومبضع الفصاد

ما كثرة الشعراء إلا علة

مشتقة من قلّة النقاد

وهذا الأستاذ مارون عبود شاعر لبناني فيه إنصاف وقد أخبرني بعض من عرفه
أن الرجل كان مسلماً بقلبه . هذا الشاعر رأى العصبية الطائفية تملأ قلوب الجهلة
قيحاً وبغضاً وفرقةً فسمى الشاعر ابنه تَحْمِداً اعترافاً بفضل الرسول الكريم ولفت
نظر للمتعصبين أن ينظروا إلى تاريخهم . وفي هذا يقول الأستاذ مارون :

عشت يا بني عشت أغلى صبي

ولدتك أمه في رجب

خُف الدهشة واخشع أن ترى

ابن مارون سميّاً للنبي

فالنبي العربي المصطفى

رحمة الدنيا وفخر العرب

وأحياناً ترى الشاعر جريئاً يخرج في نقده على حدود الخوف ويلجأ إلى صراحة
قد ترديه فهذا شاعرٌ مغامر اسمه الأحيمر السعدي يهجوالياً على العراق كان
مشهوراً بالبخل :

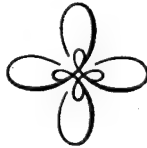
وقد ساءني أن الحمار ابن جندل

عليّ بأطراف العراق أمير

وأن أسأل العبد البخيل بغيره

وبُعران ربي في البلاد كثير

عوي الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
 وصَوَّتَ إنسانٌ فكُدت أطيُرُ
 وللقاضي عبدالوهاب البغدادي ينكر أن يقبع الشرفاء في عزلتهم فتخلو
 الساحة للأسافل :
 وإن ترفعَ الحُقراءَ يوماً
 على الشُرفاءِ من عِظمِ البلايا
 إذا استوت الأسافل والأعالي
 فقد طابت منادمةُ المنايا
 ومن يشني الأصاغر عن فسادِ
 إذا قبع الأكابرُ في الزوايا
 ومن طريف الشعر الاجتماعي ما قاله أبو الحسن العكبري يصف مجتمعه
 الذي فسدت فيه طريقة الاغنياء :
 رأيتُ في النوم دنيانا مزخرفةً
 مثلَ العروسِ تراها في المقاصيرِ
 فقلتُ جودي لنا قالت على عجلٍ
 إذا تخلصتُ من أيدي الخنازيرِ
 وإذا أردت المزيد من الشعر الاجتماعي فعليك بديوان معروف الرصافي وحافظ
 ابراهيم وإيليا أبي ماضي وأحمد محرم وشوقي رحمهم الله . لقد كانوا يخوضون في
 شعرهم مشكلات المجتمع كأحوال الأرامل والأيتام والفقراء عموماً بأسلوب
 قصصي يستثير عناصر وحنائ المعروف فيؤتي شعرهم أكلاً طيباً من البذل
 والرحمة والعواطف النبيلة .





ونتطلع في الختام إلى شعر لا يهدم الشخصية الموسيقية الناضجة التي يتمتع بها شعرنا*
 الحلوا الجميل الرائع . ولقد أتاحت لي فرصة لدراسة موسيقى الشعر الانجليزي
 فوجدت له وزنين رئيسيين الوزن الأول مقطع مضغوط يليه مقطع غير مضغوط
 والوزن الثاني عكسه مقطع غير مضغوط يليه مقطع مضغوط هذا قبل أن جاء
 الشعر الحر في هذه الأيام فقضى على وزن الشعر الانجليزي . أما شعرنا العربي
 فإن له من الأوزان ما لا يقل خمسين وزناً بين تامّ ومجزوء ومخلّع .
 والعجيب أن شعراء الحداثة حين أرادوا أن يطوروا شعرنا ومجددوه ويستفيدوا

من الشعر الغربي بدءوا حداثتهم وتجديدهم بهدم الموسيقى وبدلاً من أن يطعم الأجناب شعرهم بروعة موسيقانا قمنا نحن باقتباس موسيقاهم المحدودة وتخليّنا عن موسيقانا الناضجة وتلك لعمر الحق من الحماقة لأن المقتبس الذكي يحرص أن يقتبس ما يتمم نقصه لا أن يقتبس ما ينقص كماله .

وأهل الذوق من عشاق الشعر العربي لا يرفضون من شعر الحداثة ما يتصرّف في أوزان الخليل وفي قوافي القصيد فيلجئون إلى رباعيات أو موشحات تتنوع فيها الأوزان وتتعدد فيها القوافي بحيث تظلّ لشعرنا محاسن الموسيقى وتزول عنه الرّثابة المملة وذلك كما فعل الاندلسيون حين نوّعوا القوافي في موشحاتهم دون أن يهدموا شخصية موسيقاهم .

لكنّ أهل الذوق الذين لا يرفضون شعر الحداثة الملتزم بالتفعيلة يمتقون أشدّ المقت اسماً كريهاً متناقصاً هو (القصيدة النثرية) إذ كيف تكون قصيدة وتكون نثراً إن القصيدة هي وحدة الشعر فكيف يتلاعب صبيان الحداثة بعقولنا ؟ لنقبل المتناقضات .

إن الكلام العربي طول عصوره إمّا شعر وإما نثر وليس هنالك نثر مشعور ولا شعر منشور . وجميع كُتّاب القصائد النثرية هم كُتّاب نثر وما يضرهم هذه التسمية لأن الأدب العربي يحتاج إلى شعراء وكُتّاب وخير لأهل القصيدة النثرية إذا آنسوا من أنفسهم أسلوباً نثرياً مكتمل العناصر الفنية أن يعلنوا أنهم كُتّاب فذلك يفيدهم ويرسم لهم طريق الإبداع والتخصص . ولكنني متأكد أنهم لن يوافقوا أن ينضمّوا إلى صفوف الكُتّاب وذلك لسبب معروف وهو أنهم ليسوا شعراء ولا كُتّاباً . ولو أنهم قدروا مواهبهم حقّ قدرها لاشتغلوا بغير الأدب والحرف بفضل الله كثيرة .

وإذا كان أدونيس يريد أن يخدع الحداثيين ويقول لهم (إن سورة مريم هي قصيدة نثرية) فإن قبول كلام هذا كفر بالقرآن الكريم لأن ربّنا جلّ جلاله نفى أن يكون القرآن شعراً وما ناقش هذا القول ولا جادل فيه أيّ عارف بالأدب من عصر النبوة إلى الآن .

وهذه نماذج من الموشحات الأندلسية تنوعت فيها الأوزان والقوافي لكنها احتفظت بغنائيتها ولم تخرج عن شاعريتها لأن فيها خصائص الشعر المتعارف عليها من الأوزان والقوافي يجعلها تنوع لطيف . إن بعض شعراء الموشحات ابتكروا أوزاناً جديدة ليست من أوزان الخليل فلم يُنكر عليهم ذلك . كقول أحدهم من موشح معروف :

هل تستعاذ أيامنا بالخليج وليالينا
أويستفاد من النسيم الأريج مسك دارينا
وإيكاد حسن المكان البهيج أن يحينا إلى آخر الموشح
وسياحظ القاري أن في أوزانها خروجاً غير قليل على بحور الخليل ، وهذا نموذج من موشح أندلسي للأعمى التطيلي :

سافر عن بدر ضاحك عن جمان
وحواه صـدري ضاق عنه الزمان

آه مما أجـد
شفني ما أجـد
قام بي وقعد
ظالم متـد
كلما قلت قد
قال لي أين قد ؟

وانثنى غصن بان واثنته يدان
ذا مهز نضر بالندي والقطر

ومن الموشح الشهير المنسوب لعبدالله بن المعتز ولا بن زهر والذي مطلعہ :
أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع
ليس لي صبر ولا لي جلد
يا لقومي عذلو واجتهدوا
أنكروا شكواي مما أجـد

مثل حالي حقُّهُ أن يُشْتَكى كمدُّ اليأس وذُلُّ الطمع

كبدٌ حرَّى ودمعٌ يكفُّ

يذرف الدمعُ فلا يندرفُ

أيُّها المعرضُ عما أَصِفُ

قد نما جَبِي بقلبي وزكا لا تقل في الحبِّ أني مُدَّعي

وما أَجل ذلك الموشح الشهير الذي طبقت شهرته الآفاق وهو للسان الدين بن الخطيب الأندلسي الذي يقول في مطلعهِ :

جاءك الغيثُ إذا الغيثُ همي

يا زمان الوصلِ بالأندلس

لم يكنْ وضْلُك إلا حُلْمًا

في الكرى أو خُلْسَة المختلسِ

إذ يقودُ الدهرُ أَشْباتِ المنى

تَنقُلُ الخطو على ما نرسمُ

زُمرّاً بين فرادي وثنا

مثلما يدعو الوفودُ الموسم

والحيأ قد جَلَلِ الروضَ سَنًا

فثغور الزهرِ منه تبسمُ

وروى النعمان عن ماء السماء

كيف يروي مالكٌ عن أنسٍ

فكساه الحسنُ ثوباً مُعلماً

يزدهي منه بأبي ملبسٍ

ومنها قوله يخاطبُ أحباءه :

وبقلبي منكُم مُقتربٌ

بأحاديثِ المنى وهو بعيدٌ

قمرٌ أطلع منه المغربُ
شَقْوَةَ المُنَى به وهو سعيذُ
قد تساوى محسنٌ أو مذنَّبُ
في هواه بين وعد ووعيدُ

فاحمُ الجمّة معسولُ اللّمي
جالَ في النَّفسِ مجالَ النَّفسِ
سدّد السَّهمَ وسمّى ورمى
فقوادي نُهبة المفترسِ





الخشائفة

لأبد لي أن أختم هذا الكتاب بتحذيرين أولهما : من شعر الحداثة الذى يقطع صلته بالأصالة . والثاني : من مقاييس النقد الأوروبي التى نجرتها دونها تصفية أو تمحيص فقد يروون حسناً عندهم ما يكون قبيحاً عندنا .

لقد تفرقت مذاهب الغرب النقدية بمقدار ما ضاعت نظراتهم الاجتماعية ولهذا جاءت بعض مذاهبهم الأدبية كافرة ملحدة . أفنقتبسها على إلحادها لتشوّه الوجه الصريح لأدبنا المؤدّب !؟

إن شعرنا سيظل بإذن الله أصيلاً مؤدباً رائع اللحن عذب الإيقاع مهما تأمر عليه أعداء الإسلام وإن مجتمعنا بإذن الله سيظل إسلامياً .

هنالك دعاء مأثور من ضمنه خطاب لله جلّ جلاله يقول (ونُخلعُ ونترك من يُفجرُك) والآن وبعد أن كشفت الحجبُ البشعة عن وجوه ملحدة تتربص بنا دوائرُ السوء أن يُخلع أولئك الفجرة ويكفروا بضم الياء . لتظلّ لنا شخصيتنا المتميزة بالإيمان وتظل لأدبنا شخصيته المتميزة بالأدب .

(وبعد) فهل لي أن أتقدم في أدب وتحفّظ وحبّ وأبوة إلى أبنائنا من شعراء الحداثة أن يحافظوا على شخصية أدبنا وحمى شعرنا وحرَم تراثنا . وألا يبسيحوه لكل دخيل حتى لا تتلوث رحابة الجميلة الحبيبة الوضيئة بالمستوردات الآسنة الوبيثة . وحتى لا ينتقل العبث إلى أصول لغتنا وإعجاز قرآننا وحتى لا ترخص قيمة الأدب العربي فيسومه كل مفلس ويُرخصُ في حلبته كل هزيل .

إن دواوين القصيدة الثرية التي لا أثر فيها لتفعيلة ولا وزن ولا قافية قد فرضت على وسطنا الأدبي الوضيء منذ أكثر من خمسين عاماً فلم يستسغها أدبنا ولا أدباؤنا ولا القراء والمثقفون . وحسبك بهذا دليلاً على إفلاسها وخيبتها .

أما كُتّاب القصيدة الثرية فقد آن الأوان أن يدركوا أنهم ليسوا شعراء وأن عليهم أن ينسحبوا من حلبة الشعر التي لم يُيسروا لها وكلُّ مُيسرٍ لما خُلق له ولعلهم يجدون أو يكتشفون مواهبهم في النشر . وأما شعراء التفعيلة فإن في ساحة الشعر متسعاً لهم بشرط واحد وهو أن نلمس من واقع شعرهم أنهم عربٌ مسلمون ومواطنون صالحون .

هذا ولقائل أن يقول إن كثيراً من النقد في هذا الكتاب مقاتلة وخصام ثم إنك قد أكثرت فيه من الشواهد الشعرية وأقول إنه لا يخلو من مقاتلة لكنها مقاتلة تنبعث من نية الإصلاح . أما كثرة الشواهد فقد تعمّدتها لأنسي القارئ طول الرحلة وأسليه بحذاء البلاغة الممتعه . بعد أن طغت عليها في هذه الأيام رطانة الشعر النثري .

وفي الختام أسأل الله أن يعصمنا وأمّتنا من زيغ العقول وقيادة الجهول وأن يعيذ أدبنا القرآني الحبيب من حبائل الشياطين وإيحاء المضلّين والمنافقين والملحدّين ومؤامرات الحاقدين والخائنين . وأن يحفظ على أمّتنا لغتها القرآنية لتسهّل

وحدتها وتسير تفاهمها وأن يهدي أمتنا رشدها ويمهد لها طريق مجدها لتظل كما
شاء الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس .
وصلّى الله على محمد أفصح العرب لساناً وأحلاهم منطقاً وبياناً .
تم الكتاب بحمد الله في ١ / ربيع الأول ١٤٠٦ هـ



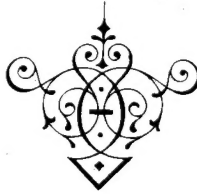
مكتبة نادي الطائف الأدبي

- ١ سوق عكاظ في التاريخ والأدب إعداد لجنة الآثار التاريخية بنادي الطائف الأدبي
- ٢ البحث عن ابتسامة محمد المنصور الشقحاء
- ٣ لكل مثل قصة مناحي ضاوي القشامي
- ٤ شبه الجزيرة العربية تهدى الحكمة حمد الزيد
- ٥ مسيكنة للعالم (محاضرة)
- ٦ رحلة العمر سعد الثوغي الغامدي
- ٧ هل للشعر مكان في القرن العشرين (محاضرة) علي حسين الفيفي
- ٨ خطرات في الأدب والفلسفة د. غازي القصيبي
- ٩ فلسفة الاسلام حمد الزيد
- ١٠ معاناة هشام ناظر
- ١١ المضيفات والممرضات في الشعر محمد منصور الشقحاء
- ١٢ العربي المعاصر (محاضرة) عبد الرحمن المعمر
- ١٣ أجنحة بلا ريش اعداد النادي
- ١٤ نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب حسين سرحان
- ١٥ رجل على الرصيف علي حسن العبادي
- ١٦ صور من الحياة والمجتمع عبد الله سعيد جمعان
- ١٧ ذكريات علي خضران القرني
- ١٨ خواطر في التنمية (محاضرة) أحمد علي
- ١٩ حديث في الاعلام (محاضرة) د. غازي القصيبي
- ٢٠ البيت أولاً (محاضرة) د. محمد عبده يمان
- هشام ناظر

٢١	جوانب صحية في التشريع الإسلامي	حمد الدعيح
	(محاضرة)	
٢٢	المحارب المهجور	ابراهيم الزيد
٢٣	كتاب القصة الأول	محمد منصور الشقحاء (كتاب دورى)
٢٤	مقالات في الأدب (١)	اعداد النادي (كتاب دورى)
٢٥	عذراء المنفى	ابراهيم الناصر
٢٦	نشر النور والزهر ج ١ ، ٢	محمد سعيد العامودي واحمد علي
٢٧	ملف نادي الطائف الأدبي (الثاني)	اعداد النادي
٢٨	معجم معالم الحجاز ج (١)	عاتق بن غيث البلادي
٢٩	مذكرات في الخط العربي	جلال أمين صالح
٣٠	في الأدب والحرب	حسين سرحان
٣١	أهازيج	محمد ابراهيم جدع
٣٢	نافذة هلى الحائط المهذوم	هند صالح باغفار
٣٣	الطائف (محاضرة)	عبد القدوس الأنصاري
٣٤	حكاية حب ساذجة	محمد المنصور الشقحاء
٣٥	الرواد الثلاثة	عبد الله الحياط
٣٦	كتاب القصة (الثاني)	محمد المنصور الشقحاء
٣٧	من حديث الكتب	محمد سعيد العامودي
٣٨	مقالات في الأدب (٢)	اعداد النادي
٣٩	دريد بن الصمة	مناحي ضاوي القثامي
٤٠	الوان من الأدب ج (١)	شعبان جبريل عبد العال
٤١	هتاف الحياة	عبد الله جبر
٤٢	كنز الأنساب ومجمع الآداب	حمد الحقييل
٤٣	القصاص	عبد الله سعيد جمعان
٤٤	معجزة القرآن الكريم	د. حسن محمد باجوده
	(محاضرة)	

٤٥	الصمت والجدران	سباعي احمد عثمان
٤٦	حين ينزف الأفق	اصلاح سهيل
٤٧	كتاب الشعر (الأول)	علي حسن العبادي ، محمد منصور الشقحاء
٤٨	الطائر الغريب	حسين سرحان
٤٩	ملف نادي الطائف الأدبي (الثالث)	اعداد النادي
٥٠	كتاب القصة (الثالث)	محمد منصور الشقحاء
٥١	علم العروض	د. عبد الهادي الفضلي
٥٢	أحييه بن الجلاح الأوسي	د. حسن باجوده
٥٣	المسحوق	محمد حمد الصويغ
٥٤	سوق الخميس	خليل ابراهيم الفزيع
٥٥	الموسوعة الأدبية جـ (٣)	عبد السلام طاهر الساسي
٥٦	ترانيم الصباح	عبد السلام هاشم حافظ
٥٧	في موكب الأبطال	علي حسين عويضة
٥٨	أغنية الشمس	ابراهيم الزيد
٥٩	دعونا نمشي	أحمد السباعي
٦٠	كلمات حب الى المدينة المنورة	عبد السلام هاشم حافظ
٦١	أبو الشمقمق	د. محمد سعد الشويعر
٦٢	تأملات في الفكر والمجتمع	عبد الله بوقري
٦٣	الأحاجي والألغاز الأدبية ط ٢	عبد الحى كمال
٦٤	حنين	علي صالح الغامدي
٦٥	تذكرة عبور	عبد الله سعيد جمعان
٦٦	أزهار	علي حسين الفيقي
٦٧	جراح الليل	د. ابراهيم الزيد
٦٨	أوراق مطوية	أحمد السباعي
٦٩	شعراء الحجاز ط ٢	عبد السلام طاهر الساسي

٧٠	ابن الطراوة النحوي	د. عياد عيد الشبتي
٧١	لكل مثل قصة (٢)	مناحي ضاوي القشامي
٧٢	لا ليلك ليلي ولا أنت أنا	عبد العزيز الصقبي
٧٣	تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس	ت : محمد الشقحاء
	ووج الطائف لابن فهد	ومحمد سعيد كمال
٧٤	المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب	تحقيق د. ابراهيم الزيد
٧٥	الحب الكبير	حسن ناصر المجرشي
٧٦	رسائل الى نازك	سعد البواردي
٧٧	بهجة المهج للميورقي	تحقيق د. ابراهيم الزيد
٧٨	ملف نادي الطائف الأدبي (٤) (٥)	اعداد النادي
٧٩	الزهور الصفراء	محمد المنصور الشقحاء
٨٠	الفتون الصغرى	ابوعبد الرحمن بن عقيل الظاهري
٨١	المبالغة في البلاغة العربية	عالى سرحان القرشى
٨٢	رحلة إلى الغرب	الشيخ احمد علي
٨٣	شعراء ثقيف في العصر الأموي	عيسى عبد الغفور السواط
٨٤	ملف النادي السادس	لجنة الملف بالنادي
٨٥	زائر الأمس	علي حسين الفيفي
٨٦	نشر اللطائف في قطر الطائف	تحقيق : عثمان محمود حسين الصبي



الفهرس



الصفحة

الموضوع

مقدمة

٣

الباب الأول

خلفياتُ حداثية

٥

١ - حادثة أم تقليد

٦

٢ - بدر شاكر السياب

١٠

٣ - تعدّي الحدود

١٥

٤ - بين حجازي ودنقل

١٩

٥ - نماذج مشبوهة

٢٢

٦ - تخريب النقد

٢٧

٧ - حول البنيوية

٣٠

الباب الثاني

عناصر الشخصية في أدبنا

٣٦

أولاً : النضوج الموسيقي

٣٧

ثانياً : اقترانه بالحكمة والأخلاق

٣٩

ثالثاً : المستوى الراقى للشكل

٤٤

رابعاً : تنوع الأغراض والموضوعات

٤٨

خامساً : الصدق العاطفي المصور

٥٣

الباب الثالث

الشعر الذي نتطلع إليه

٥٦

١ - القادر على التأثير

٥٧

٦٣	٢ - المتألق القالب
٦٦	٣ - الخفيف الظل والروح
٧٥	٤ - المجل بالبدیع العفوی
٧٩	٥ - ذو الطابع القصصی
٨٤	٦ - الموقد للحماسة
٩١	٧ - المعالج لمشكلاتنا الاجتماعية
٩٧	٨ - الناضج الموسیقي
١٠٢	الخاتمة



